دراسات في الأدب المنسي

علي الحسيني

الحلة ١٩٥٧

سلسلة علي الحسيني

[٦]

دراسات في الأدب المنسي

علي الحسيني

الحلة ١٩٥٧

هوية الكتاب

اسم الكتاب: دراسات في الأدب المنسي.

تأليف: علي الحسيني

الطباعة: دار الفرات للثقافة والإعلام ـ العراق ـ بابل

السنة: ١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ( ) لسنة ٢٠١٧م

Al-Furat House for Education and Information

Iraq – Babylon

الإهداء

//////////

المقدمة

هذه فصول دراسية أدبية، قمت بوضعها نتيجةً للرغبة التي نمت في قرارة نفسي.

وقد كنت أودُّ أن أكتبها بإسهاب وتفصيل أدق، إلاّ أنَّ بعض الظروف القاسية أملت عليَّ الاختصار والتركيز.

وقد سبق لهذه الفصول أن نُشرت حين وضعها في المجلات الأدبية، أي في (الأديب)، و(الورود)، و(الرسالة) اللبنانيات. على أنَّ جمعها في كتاب، ونشرها على هذه الصورة، سيزيد، بلا شك، في فائدتها.

وأنا آمل أن أكون قد قدَّمت شيئاً.

مايس ١٩٥٨م
علي الحسيني

الشاعر العراقي السيد حيدر الحلي

نشرت بمجلة (الأديب) اللبنانية في عدد آب ١٩٥٧

في القرن التاسع عشر الميلادي أثمرت نهضة أدبية واسعة النطاق في الفرات الأوسط من العراق، وكانت هذه النهضة دينية أدبية، وكان من نتائج هذه النهضة ظهور عدد كبير من الأدباء والشعراء وعلماء الدين. ويتناول حديثنا هذا شاعراً من أعظم شعراء تلك الفترة الواقعة في الفترة المظلمة من التقسيم الكلاسيكي للأدب العربي، وهذا الشاعر هو المرحوم السيد حيدر الحسيني الحلي الذي عرف في عصره وبعده بـ(أمير المراثي).

ومن المؤسف جداً عدم ظهور أية دراسة أو ترجمة جديرة بالذكر لهذا الشاعر الخالد، الذي تجد أسمه، على كلّ شفة ولسان في الفرات الأوسط، وفي أوساط الأدب العراقي. وكل ما قدّم من وفاء لذكره وأخلا من لتاريخ الأدب العربي، هو طبع الجزء الأول من ديوانه، طبعه أقل ما يقال فيها أنها ليست كاملة، وبالرغم من أن هذا الموضوع يصلح موضوعاً للدراسة

الأدبية أكثر مما يصلح له أي موضوع آخر، فإننا لم نسمع إلى الآن، أن أديباً أو شاعراُ قرر أو فكّر بالقيام بهذا البحث.

ونحن هنا إذ نقدم هذه الدراسة المختصرة، إنما نريد أن نفي بحق الشاعر وبحق الأدب العربي، ولو بصورة جزئية.

حياته:

ولد السيد حيدر في منتصف شعبان من عام ١٢٤٦هجـ-١٨٤٧م في قرية بيرمانة من لواء الحلة. وقد مات والده السيد سليمان الصغير- وهو شاعر معروف- وهو لا يزال يحبو في طفولته، فاعتنى بتربيته عمه السيد مهدي السيد داود، وهو شاعر معروف أيضاً وصاحب مدرسة أدبية في تلك الفترة.

وقد تلقن في أيام شبابه الأولى عن السيد مهدي وبعض الأدباء الآخرين، علوم اللغة العربية، كما أنه درس العلوم الدينية والفقهية والمنطقية. وقد ظهرت عليه علامات النبوغ منذ أن كان شاباً يافعاً، قوي البنية، رزيناً، محترماً، بين أصدقائه وأقربائه وبين أصدقاء عمّه السيد مهدي.

وفي هذه المدة بدأ بنظم الشعر، وكان أكثره في رثاء ومدح آل البيت، وقليلة في الغزل والاخوانيات والأغراض التقليدية الأخرى.

وكان لبيئة الشاعر الأدبية التي نشأ فيها وترعرع، أثر كبير في تكوين شاعريته، وتطورها فيما بعد، فبينما نجد أن والده السيد سليمان وعمّه السيد مهدي شاعران معروفان، نجد أيضاً أن جده الأكبر (السيد سليمان الكبير) وابنه (الحسين) وابن عمّه (عبد المطلب الحلي) هم شعراء أيضاً. لأضف إلى هذا بوادر النهضة الأدبية الدينية التي نشأت في الفرات الأوسط، والتي كانت قائمة على قدم وساق، والمجتمع الحلّي الذي كان يزخر بالشعراء والأدباء، وعلى حدّ قول أحد الأدباء: "أنى تلفت سمعت صادحاً، وراقصاً ونائحاً، ومعاتباً ومادحاً".

وكلن السيد مهدي على علاقة وثيقة بآل كبة، فأتصل السيد حيدر بواسطة عمّه بهذه الأسرة التي كانت تخصص الأموال الكثيرة للأدب والأدباء، وتشجعهم على القيام بالأعمال الأدبية، ومقابل هذا أغرق الشعراء رجال هذه الأسرة وأعلامها بالمدح والتهاني والرثاء، وكان السيد حيدر من أكثر الشعراء مراسلة وصداقة لآل كبة. ولهذا نرى في ديوانه الكثير من

المدائح والتهاني والمراثي لأعلام هذه الأسرة. وكان شاعرنا أيضاً على صلة بأسرة آل القزويني التي سكنت الحلة- ولا زالت فيها- منذ أمد بعيد. وينطبق الكلام الذي قلناه على آل كبة، على آل القزويني، مع شيء قليل من الاختلاف.

وقد توفي السيد حيدر الحلي في ١٩ ربيع الثاني من سنة ١٣٠٤-١٩٠٥م فكانت لوفاته رنّة أسف بعيدة المدى. ومما يذكر عنه أنه كان عالي الهمّة، أبي النفس، لم ينظم مدحاً أو تهنئة أو رثاء من أجل المال، ولذلك جاءت رثائياته - وخاصة في آل البيت- من أبدع المراثي في الشعر العربي. وكان أيضاً متعبداً كريم النفس والأخلاق، قليل المال، متواضعاً وحسن الخلق.

شعره:

وشعر السيد حيدر لم يخرج عن كونه شعراً كلاسيكياً في الأغراض الشائعة آنذاك، وهي المرح والتهنئة والرثاء والغزل والاخوانيات وإلخ... ولكن القارئ يشعر باختلاف كبير، عند مقارنته بشعر غيره من شعراء عصره. يشعر بحلاوة الألفاظ، بتمازجها وتكوينها نغماً واحداً، بتماسك القصيدة، على عكس ما نراه في الشعر التقليدي من اعتماد على وحدة البيت

فقط. ويشعر بعد ذلك بمتانة المعاني، ورقتها، وملائمتها للموضوع المطروق.

وهنالك ملاحظة أخرى، هي افتتان الشاعر بالبديع إلى درجة كبيرة، ومعلوم أن جميل البديع يأتي عفو الخاطر، دون أن يتعمده الشاعر، وهو يكون بقلة. إلاّ أنا نجد أن شاعرنا يكثر من البديع وبتعمده في بعض الأحيان، وبالرغم من أن البديع يقلل إلى درجة ما من أهمية الشعر، إذ يجعل الشاعر لفظياً لا موضوعياً، فإن هذه القاعدة ى تنطبق على شعر السيد حيدر.

فمن قصيدة تهنئة في ذكرى مولد الإمام الثاني عشر:

فهنيئـــــــاً فُـــــــتحَ الخيـــــــرُ

خـــــتمَ الـــــرحمنُ فيـــــهِ الأنبيـــــاءُ!

ومن قصيدة مدح:

هـو جعفـر الفضـل الـذي أهـل النهـى

يـــــردون منـــــه ويصـــــدرون رواء!

ومنها أيضاً:

لا راعهـــا بـــك مـــا يـــروع ولا رأتْ

بعـد الـذي بـك سـرها، مـا سـاء!

ومن قصيدة تقريض لديوان عبد الباقي العمري:

نشـــرت طـــيء الفصـــاحة، لكـــن

طويـــت فـــي انتشـــارها الفصـــحاء

ألفـــات مثـــل الغصـــون تلتهـــا

فلكـــل مـــن همـــزة ورقـــاء

وقد نوهنا سابقاً أن شعره تناول مختلف الأغراض التقليدية، ومما قرأته من روائع مراثيه، هذه الأبيات من قصيدة طويلة في رثاء الإمام الحسين:

يـــا دار جائلـــة الوشـــاح

حيتـــك نافحـــة الريـــاح

يلقـــى الكتيبـــة مفـــرداً

فتفـــرُّ داميـــة الجـــراح

وبهامهـــــا أعتصـــــمت مخـــــا

فـــــة بائســـــة بـــــيض الصـــــفاح

وتســـــــترت منـــــــه حيـــــــاءاً

فـــــي الحشـــــا ســـــمر الرمـــــاح

وروي أن أحد طلاب البعثة العراقية اجتمع بالمرحوم (أحمد شوقي) وهو في طريقه إلى (السوربون) فطلب منه شوقي أن يقرأ شعراً فراتياً، فقرأ له من شعر الشعراء المعاصرين، فقال له: "لا... أقرأ:

عثـــر الـــدهر ويرجـــو أن يقـــالا

تربـــت كفـــك مـــن راجٍ محـــالا

وأتم القصيدة وهذه القصيدة من أروع مراثي السيد حيدر الحلي ومنها:

وقفـــوا والمـــوت فـــي قارعـــةٍ

لـــو بهـــا أرســـي ثهـــلان لمـــالا

فـــأبوا إلاّ اتصـــالاً بالضُـــبا

وعـــن الضـــيم مـــن الـــروح انفصـــالا

أرخصـــــوها للمعـــــالي وهجـــــا

قـــد شـــراها مـــنهم الله فغـــالى

ومن مراثيه هذه القصيدة المبدعة، ونقتطف منها:

عجبـــاً للعيـــون لـــم تغـــذ بيضـــاً

لمصـــابٍ تحمّـــر فيـــه الـــدموع

وأســـى شـــابت الليـــالي عليـــه

وهـــو للحشـــر فـــي القلـــوب رضـــيع

أيـــن مـــا طـــارت النفـــوس شـــعاعاً

فلطيـــر الـــردى عليـــه وقـــوع

فـــأبى أن يعـــيش إلاّ عزيـــزاً

أو تجلـــى الكفـــاح وهـــو صـــريع

فتلقـــى الجمـــوع فـــرداً، ولكـــن

كـــل عضـــو فـــي الـــروع منـــه جمـــوع

زوج الســـيف بـــالنفوس ولكـــن

مهرهـــا المـــوت والخضـــاب النجيـــع

وأحسب أن القارئ يفطن إلى ما في البيت الأخير من تشبيه رفيع للموت، يدخل فيه عنصر الخيال حتى ليحلق بنا إلى القمة، ومن شعره الحماسي:

وراءك اليـوم عـن لهـوي وعـن طربـي

فـــإن قلبـــي أمســـى كعبـــة النـــوب

لا تطمعـي فـي وصـالي، إن لـي كبـداً

تهـوى وصـال العلـي لا الخـرد العـرب

أبعـد حفظـي لأسـباب العلـى زمنـاً

أضـيعها لـك بـين اللهـو واللعـب

مـا ضـرني بـين قـومٍ خفـض منزلتـي

ومنزلـي فـوق هـام السـبعة الشـعب

وحسـب نفسـي وإن أصـبحت ذا عـدم

مـن ثـروةٍ، إننـي مثـر مـن الأدب

ويطول الحديث عن شعره، حتى ليستغرق كتاباً كبيراً.

آثاره الأدبية ونثره:

وقد خلّف السيد حيدر بالإضافة إلى الثروة الشعرية القيمة، والتي جمعت بعد ذلك في ديوان واحد طبع في الهند مرتين على الحجر، ثلاثة كتب، أدبية، هي:

١. العقد المفصل، وهو كتاب أدبي ثمين، يشبه في طريقة تأليفه ومواضيعه، كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، ويحتوي الكتاب على مقدمة، وثمانية وعشرين فصلاً، وبدأ كل فصل بقطعة شعرية قصيرة من نظمه، وهذا الكتاب قدّمه هدية لآل كبة، وطبع من قبل بعض الأدباء، في بغداد سنة ١٣٣١هجـ، في جزأين الأول في ٢٨٨ صفحة والثاني في ٢٣٢ صفحة من القطع الكبير.

٢. دمية القصر في شعراء العصر، قدمه هدية لآل كبة أيضاً، وترجم فيه لعدد كبير من الأدباء والشعراء الذين عاصروه، وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً.

٣. الأشجان في مراثي خير الإنسان، وألفه لآل القزويني، وجمع به مراثي المرحوم العلاّمة الميرزا جعفر القزويني، وكتب لكل قصيدة مقدمة، وللكتاب مقدمة بليغة من روائع نثره. ويقع الكتاب في ١٣٨ صفحة من القطع المتوسط.

أما نثر السيد حيدر فهو بحق ثروة أدبية، وإن كان قد كتب على الطريقة القديمة، ومن نثره هذه القطعة من رسالة له إلى أحد أصدقائه:

"سلام فتقت نور زهره صبا الحب، وأعربت أنفاس نشره عن طي سريرة الصب،؟ ورقت ألفاظه حتى سرق النسيم طبعه من رقتها، ونفخت بريا الإخلاص فقراته حتى استعار العبير المحض طيبه من نفختها، وما هي فقرات في الطروس قد رسمت، بل روح محب أذابها الشوق وفي قالب الألفاظ قد تجسمت، فلو نشق أرواح عرفها من غشيته سكرات الموت لصحا، ولو سرح النظر في لفؤلؤ ألفاظها ذو الطبع السليم لسحرت عقله وماس منها مرحا". (م٢-دراسات).

هذا قليل من كثير مما نودّ أن نقوله عن السيد حيدر، أمير المراثي، وكبير شعراء عصره ونرجو أن نستطيع إصدار كتاب مفصل عن هذا الشاعر الخالد في المستقبل القريب لنؤدي بعض ما يجب أن نؤديه في خدمة أدبنا العربي.

الحلة/ ١٩٥٨م

الشاعر العراقي الشيخ أحمد النحوي

نشرت في مجلة (الأديب) اللبنانية في عدد حزيران ١٩٦٠

في هذه المقالة الموجزة أود أن أتحدث لكم عن شاعر منسي تمام النسيان، فبالرغم من كونه شاعراً من كبار شعراء الأدب الفراتي في القرن التاسع عشر الميلادي، فلم يطبع من ديوانيه الكبيرين شيئاً يذكر، كما لم تطبع مخطوطته في شرح مقصورة ابن دريد.

هذا الشاعر، هو الشيخ أبو الرضا أحمد بن الشيخ حسن الخياط، الشهير بالنحوي، لإطلاعه على علوم اللغة العربية إطلاعاً واسعاً، والمعروف بالشاعر، لشاعريته وشاعرية والده الشيخ حسن.

حياته وأحواله:

ينحدر الشيخ أحمد من بيت عربي حلّي، ولم نجد في مصادر بحثنا من يشير إلى سنة ولادته وموضعها. والمرجح لدينا أنه ولد في الحلة. وقد كان أستاذه الأول ومربيه هو والده الشيخ حسن الذي كان شاعراً أيضاً، وذا إطلاع كبير على علوم اللغة. وكان والده قد نشأ على حبّ شديد للغة العربية،

فليس من العجب أن نجد المترجم ينحو نحو والده، فيدافع عن اللغة العربية أمام الموجات التركية والفارسية التي شملت العراق آنذاك.

وقد ذكر بعض المؤرخون أن شاعرنا كان يبعث حبّ اللغة العربية، في نفوس أولاده وأصدقائه وأقاربه، وكان يساعده في ذلك أمراء الحلة آنذاك- آل عبد الجليل- الذين أكرموه وأحسنوا وفادته. وقد جاء الذين أكرموه وأحسنوا وفادته. وقد جاء مدحهم والثناء على أعمالهم في كثير من قصائده.

أما أستاذه الآخر الذي تتلمذ عليه، فهو الشيخ نصر الله الحائري، الذي كان من رجال اللغة والدين والأدب المعروفين في عصره. وقد كان شاعرنا يكن للحائري حبّاً وودّاً عميقين، حتى أنه هاجر مَعه إلى كربلاء. وعندما توفي الشيخ الحائري سنة ١١٥٤هجـ-١٧٣٥م غادر شاعرنا كربلاء، إلى النجف الأشرف، حيث واصل هناك دراسته.

وفي النجف تعرّف على كبار الشعراء والعلماء والأدباء، وقد ناقشهم في شؤون الدين واللغة والأدب، وما أن مضت مدة قليلة على مكوثه في النجف حتى عدّه شعراؤها وعلماؤها ورجال الدين من كبار رجالهم الأجلاء.

أما وفاة المترجم، فإنه بعد أن عرف في النجف غادرها إلى مسقط رأسه- الحلة- حيث أقام هناك حتى توفي سنة ١١٨٣هجـ-١٧٩٦م وقد نقل جثمانه إلى النجف، وشيع تشييعاً فخماً.

وقد جاء ذكر أحمد في كثير من الكتب التاريخية المخطوطة والمطبوعة. فقد ذكره صاحب (نشة السلافة) فأطرى أدبه وإنتاجه ووصفه بالثمين. وذكره صاحب (الروض النظر) فأطرى أدبه وإنتاجه أيضاً، وقال أنه وصل إلى رتبة عالية عند أدباء وشعراء عصره في علوم العربية، وأنّه نحا منحى سيبويه.

وذكره صاحب (أعيان الشيعة)، فقال أنه "كان من كبار العلماء وأئمة الأدب، معروفاً عند العامة والخاصة بالفضل والتوغل في علوم العربية وآدابها". وقال عنه صاحب (الطليعة) بعد أن أطراه وأطرى أدبه وذكر مكانته بين الأدباء والشعراء آنذاك، أنه "عمّر كثيراً، وهو في خلال ذلك قوي البديهة، سالم الحاسة".

شعره:

ومن أهم ما يمتاز به شعر الشيخ أحمد، كونه تقليدي الأغراض، كما أن المفهوم الشعري عنده لا يخرج عن المفهوم الذي وضعه (الامدي) ويتبين لنا هذا من النظرة العميقة المخلصة لشعره.

ولما كان شاعرنا ذا إطلاع واسع على علوم اللغو، فقد كان ينحو في شعره العصر العباسي الثاني؛ من مطاردة للكلمة الصعبة، واهتمام بوحدة البيت دون وحدة القصيدة، وخضوع للكلمة المزوقة. ويتبين لنا ذلك في شعر الحكمة، ولزيادة الإيضاح، نورد أبيات من قصيدته التي ينصح بها ولده، حيث يقول:

بنـــي أســـتقم فـــالعود تنمـــي عروقـــه

قويمـــاً، ويغشـــاه إذا مـــا التـــوى المـّـوا

ولا تطلـــع الحـــرص المـــذل وكـــن فتـــى

إذا التهبـــت أحشـــاؤه بـــالطوى طـــوا

وعـاصِ الهـوى المـددي، فكـم مـن ملحـقٍ

إلـــى الـــنجم لمّـــا أن أطـــاع الهـــوى هـــوا

وأســـعف ذوي القربـــى قيقـــبح أن تـــرى

علـــى مـــن إلـــى الحـــرّ اللبيـــب أنضـــوا

وحـــافظ علـــى مـــن لا يخـــون إذا بنـــا

زمـــان ومـــن يرعـــى إذا مـــا النـــوا نـــوا

علـى أن قصـائده الوجدانيـة تختلـف اختلافاً قليلاً عما ذكرنـاه فـي شـعر الحكمـة، فليس فيهـا مطـاردة للكلمـة الصـعبة أحيانـاً. أمـا الميزات الأخرى لشعره فهـي متانـة القصيدة وترابط أجزائهـا، وسلاسـة المعـاني أحيانـاً وصـعوبتها أحيانـاً، والميـزة الوحيـدة التـي نجـدها متمثلـة فـي جميـع شـعره، هـي خضـوعه للقافية خضوعاً أضـاع عليه كثير من المعاني الجميلة. إلاّ أن هذا لا يمنـع من وضـع الشيخ أحمد في منزلتـه، كشـاعر كبير من شعراء صره، ولغوي شـهير معروف من علمـاء اللغة. ولقد كان لقوة شاعريته أسباب عدّة، منها كونه ابن شاعر.

وكان الأدباء يتلقون مساعدة أدبية يكون لها أثر كبير في صقل الشاعرية، خاصة إذا كان مصدر هذه المساعدة والد الشـاعر؟، ويمكن للقارئ أن يتصـور مدى المسـاعدة والتشـجيع الـذي قدمـه والـد شـاعرنا حسـن الخيـاط، إذا عـرف أنـه شـاعر

معروف ولغوي أيضاً، وأن الشعر في تلك الفترة كان مهنة كأية مهنة تدر المال.

ومن الأسباب أيضاً، صلته بأمراء الحلة- آل الجليل-، الذين أكرموه وقدّموا له التشجيع المادي والأدبي، وهذه الصلة نتجت عن حبّ الطرفين للغة العربية ودفاعهما الحار عنها أمام الموجات الفارسية والتركية. ونحن نجد في شعر المترجم مدحاً كثيراً لآل عبد الجليل.

ولقد كان الشيخ أحمد ياسجل ويطارح كبار شعراء عصره، من أمثال السيد سليمان الكبير ومحمد رضا النحوي ومحمد بن الخلفة وغيرهم. ومن شعره الوجداني الرقيق هذه الأبيات التي نقتطفها من قصيدة مدح:

أمانـــــاً يـــــا صـــــبا نجـــــد

فقـــــد هيجـــــت لـــــي وجـــــدي

ويـــــا برقـــــاً يـــــرى وهنـــــاً

قريـــــب العهـــــد مـــــن هنـــــد

لقـــــد أججـــــت لـــــي نـــــاراً

تـــــذيب القلـــــب بالوقـــــد

ويـــــا ســــــاداتنا هّــــــلا

رعيـــــــتم ذمـــــــة العبــــــــد

هجــــرتم مغرمـــــاً لــــم يـــدرِ

بـــــــــالهجران والصـــــــــد

قضــــــى فـــــي حـــبكم وجـــداً

ويـــــاع الغـــــــي بالرشـــــــد

فيــــا مـــــن ودهـــم قصـــدي

ويـــــا مـــــن ذكـــــرهم وردي

بلـــــيلات مضـــــت معكـــــم

وعـــــيش نـــــاعم رغـــــــد

وأيــــــام لنـــــا كانـــــت

بجيــــد الـــــدهر كالعقــــــد

ومنها هذه الأبيات:

صـــــــلوا وارثـــــــوا لمشـــــــتاقٍ

حليـــــــف الـــــــدمع والســـــــهد

وأن قـــــــــاطعتم المضـــــــــنى

وخنـــــــتم ســـــــالف العهـــــــد

فـــــــإني ذلـــــــك الخـــــــلّ

وودي لكـــــــــــــــــــــــمُ ودي

ومما قرأته من شعره الغزلي الذي يمتاز بالرقة والسلاسة هذه الأبيات من قصيدة:

فـــــديتكِ مالـــــكِ لـــــم تقبلـــــي

إلـــــيَّ وعـــــذري لـــــم تقبـــــلِ

أوحـــــد حســـــنك بـــــين الـــــورى

ففـــــي نـــــار هجـــــرك لـــــم اصـــــطلِ

ويـــــا طيـــــب هجـــــرك لـــــو لـــــم تكـــــن

تمكـــــن وصـــــلك مـــــن عـــــذّلي

ونورد للقارئ مثلاً آخراً من شعره الوجداني يختلف عن الأبيات السالفة الذكر، في سلاسة المعاني ورقتها، وفي ترابط الموسيقى الشعرية والفكرة بمحور الحزن الذي يجمعها على صعيد واحد، ولعلّ هذا الانسجام من عوامل قوة شعره ومتانة:

بين هجر النوى وصدّ التلاقي

بلغت روحه عليك، التراقي

وريح قلبي من الأسى ما يعانيه

وجسمي من الضنا ما يلاقي

لمتُ في العشق قبل أن أعرف العشق فوا خجلتا من العشاقِ

من عزيري من مطلقين، وخلواً

مستهاماً من الأسى في وثاق

كلما رمتُ أبردُ القلب عنهم

بالتسلي يجدُّ بالاحتراقِ!

ليت شعري أين استقلت بهم

أيدي المطايا أم كيف لي باللحاق

ومن هذه الشواهد، يتبين لنا مدى قوة شعر الشيخ أحمد، فلا عجب إذا كان من كبار شعراء عصره.

أثاره الأدبية ومؤلفاته:

وقد خلّف الشيخ أحمد، بالإضافة إلى الثروة الشعرية المخطوطة كتباً أخرى كان حظها من النشر حظ شعره، إذ لم يطبع من أنتاجه إلاّ ما نشره الأدباء، والمؤرخون للاستشهاد به على شاعريته، أما مؤلفاته فهي:

- ديوانه الشعري، ويقع في جزئين، وقد ذكر أحد الأدباء بأنه مفقود.
- جذوة الغرام ومرنة الانسجام، وهو مجموعة شعرية غزلية، ومن المؤسف عدم- اطلاعي عليها لتعريفها في هذا المجال.
- شرح مقصورة ابن دريد.
- أرجوزة طويلة في مدح أستاذه الشيخ نصر الله الحائري، ويمكن مراجعة الكتب الأدبية للاطلاع عليها.
- ومن هذا يتبين لنا أن الشعر هو الغالب في نتاجه، على أن هناك بعض الأسباب التي تدفعنا إلى ترجيح وجود بعض المؤلفات النثرية الأدبية، أو اللغوية، له. ومن هذه

الأسباب إطلاعه الواسع على آداب اللغة وعلومها، وما جاء في بعض الكتب الأدبية من أن عدداً من شعراء وأدباء وفضلاء عصره، قد تخرجوا عليه.

وعلى كل حال، فإن طبع ما بقي من شعره المتفرقة في الكتب المخطوطة والمطبوعة، تشكل ولا شك، خدمة جديرة بالاعتبار للأدب العربي، وإيفاءً بحق شاعرنا المنسي، وعسى أن يتحقق ذلك قريباً.

الحلة

إبراهيم صادق
شاعر لبناني في العراق
نشرت في مجلة الرسالة اللبنانية
في عدد تشرين الثاني ١٩٥٧

في سنة ١٢٨٢هجـ، توفي شاعر لبناني بقرية (الطيبة) في جبل عامل، فكانت لوفاته رنَّة أسف بعيدة المدى في الأوساط الأدبية في العراق أكثر من بقية الأقطار العربية.والسّر في هذا راجع إلى أن هذا الشاعر أخذ العلم ونظم الشعر فأبدع فيه، في العراق، وفي مركز الحركة الأدبية الدينية آنذاك، النجف.

هذا الشاعر هو إبراهيم بن صادق بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن نجم المخزومي العاملي الخيامي الطيبي، وقد هاجر إلى العراق وبقي فيه سبعاً وعشرين عاماً. وفي هذا الحديث الموجز نحاول أن نعرّف القراء بهذا الشاعر اللبناني العراقي.

حياته:

ولد إبراهيم صادق في سنة ١٢٢١هجـ-١٨٠٢م بقرية (الطيبة) من قرى جبل عامل، وتتبع قضاء (مرجعيون). وكان

في عهد والده منصرفاً عن طلب العلم إلى الحياة العلمية، فلما توفي والده في عام ١٢٥٢هجـ-١١٣٣م تحرك في نفسه شوقٌ لطلب العلم، وكانت النجف آنذاك- فضلاً عن الأزهر في مصر- هي المركز الإسلامي الوحيد، أشتهر بعلومه وإعلامه.

ويجب أن نشير هنا إلى الروحية العنيدة التي كان يتملكها الشيخ إبراهيم. فبالرغم من أنَّ عمره آنذاك كان واحداً وثلاثين عاماً. وبالرغم من صعوبة الهجرة. فقد غادر داره ومسقط رأسه وبلاده وأهله إلى النجف... وهكذا ننتقل الآن إلى النجف لنرى ما كان من أمره هناك.

ففي هذه المدينة كان شاعرنا يطلب العلم وكانت علومه دينية أدبية، إلاّ أنه كان ولوعاً بالشعر فنظمه وأبدع فيه، فعرفته الأوساط- الأدبية في النجف. وقد كان محترماً، محبوباً، مما هيأ له أن يدرس على أشهر علمائها آنذاك ومن أساتذته الشيخ حسن الشيخ جعفر صاحب (كشف الغطاء) وأخوة الشيخ مهدي. ومنهم أيضاً الشيخ مرتضى الأنصاري، وردت بعض المصادر التاريخية أن الأعلام السالفة الذكر أجازوه في القضاء الإسلامي.

وما أن حلّت سنة ١٢٧٦هجـ-١٨٦٠م حتى غادر الشيخ إبراهيم النجف قاصداً مسقط رأسه، بعد أن استوعب من العلم ما أرضاه، وبعد الشهرة الأدبية الواسعة النطاق التي حصل عليها بعد استمراره في نظم الشعر وإبداعه فيه.

وقد وصل الشيخ إلى دمشق سنة ١٥٨٠هجـ-١٨٦١م فأقام فيها عاماً. ثم ما لبث أن غادرها إلى لبنان حيث أقام في قرية الطيبة حتى توفي.

وقد اختلفت المصادر التاريخية في تحديد وفاته، فقد ذكر صاحب (أعيان الشيعة) أنه توفي في عام ١٢٨٢هجـ، أي بعد وصوله إلى الطيبة بعامين، وقد أكد هذا الرأي بقوله: "وكانت وفاته بكانون والثلوج مادة رواقها على السهول والجبال لم تأذن لسكنة البيوت بتجاوز أعتاب الأبواب ثلاثة أيام بلياليها، وفي اليوم الرابع أمكن أن يشق له بعد المشقة ضريح أبيه وجده فدفن به".

أما صاحب (الحصون المنيعة) فقال أنه توفي عام ١٢٨٨هجـ، وأكد رأيه هذا بقوله: "توفي عن عمر ناهز الثمانين عاماً، وقد زرت قبره بقرية الطيبة، ووقفت على قبره وقرأت له الفاتحة أثناء مروري بالجبل".

كما أن صاحب (جواهر الحكم) أكد هذا الرأي أيضاً فقال: "كان من العلماء الأفاضل، إلاّ أنه تغلب عليه الشعر. جالسته مراراً بعامرة الطيبة بدار الأمير محمد بك الأسعد، وكان يومئذٍ كهلاً. وقد عمّر له محمد بك داره بالطيبة ولم يتم بنائها ولا سكناها، ففي أثناء تعميرها أصابهم النكبة، وبعدها بقليل توفي الشيخ. (م٣-دراسات). رحمه الله، وكانت نكبتهم عام ١٨٨٢هـ".

ويميل صاحب (شعراء الغري) السيد علي الخاقاني إلى أن وفاته كانت عام ١٢٨٨هجـ، إلاّ أنني أميل إلى الرأي الآخر.

وقد جاء ذكر الشيخ إبراهيم في كثير من مراجع الأدب المخطوطة والمطبوعة، فقد كتب عنه صاحب (أعيان الشيعة) وصاحب (الحصون الغري) وهذا دليل كاف لمعرفة شهرة الشيخ إبراهيم في الأوساط الأدبية العراقية، فإن- هؤلاء المؤرخون، هم بالحقيقة، من أهم مؤرخي وأعلام وأدباء تلك الفترة، إذا استثنينا السيد الخاقاني الذي لا يزال معاصراً.

آثاره:

ومن الضروري أن نشير إلى أن الشيخ إبراهيم ترك ورائه عدداً من المؤلفات التي وصفت بأنها قيمة ومن هذه المؤلفات منظومة طويلة في الفقه.

كما أنه ترك بضعة رسائل أيضاً، أما ديوانه فهو مخطوط، وقد فقد معظمه، والباقي مبعثر في الكتب المخطوطة المعرضة للتلف وفي بعض الكتب المطبوعة.

وقد ذكر صاحب (أعيان الشيعة) أنه وجد مجموعة شعرية بخطه عند ولده، فيها جميع شعره وقال أيضاً أنها فقدت ولم يستفد منها. وكان هذا نتيجة طبيعية للوضع السائد آنذاك، إذ كان هناك قلة من الأدباء يجمعون مثل هذه الآثار في مخطوطات معرضة للتلف. وقد ضاع لهذا السبب، الكثير من مؤلفات وإنتاج الأدباء في تلك الفترة الواقعة في العصر المظلم من التقسيم الكلاسيكي للأدب العربي.

نثره:

وطبيعي أن يكون نثره من النثر التقليدي الذي كان رائجاً؟، ذلك النثر الذي يعتمد على السجع، ويهتم بالأسلوب أيضاً، فالألفاظ المبهرجة هي التي كانت تستهوي قلوب

الأدباء، وقد قال صاحب (شعراء الغري) عن نثر المترجم، أنه كان "أديب ذو أسلوب مشرق وبيان ساحر". وقال عنه صاحب (أعيان الشيعة): "أن حياته الأدبية جعلت له شهرة واسعة في زمانه، ولم تكن منزلته في النثر البديع، فكان يتولى أمور الكتابة عن شيوخ العلم خطاباً وجوابا".

وقد اخترنا هذه القطعة القصيرة التي أرسلها إلى أحد أصدقائه، ويمكن أن نعتبر القطعة نموذجاً مبدعاً للنثر وأسلوبه السائد آنذاك:

"أن قصارى ما وصل إليه نظر العاجز بعد مزيد التصويب والتصعيد، قصوره عن الإحاطة بأوصاف معاليك الممتدة بسرادف مجدها في أوج الجلال إلى أمد بعيد، بيد أن تلك- أدام الله فضلك- مناقب بلغت في الاشتهار، مبلغ الشمس في رابعة النهار، فهو كالضروري لدى كل أحد، والبديهي لا يختلج جحوده في خلد، منها أنك جمعت أشتات مفاخر، لم تنلها يد الأوائل والأواخر".

شعره:

وقد ذكرنا فيما سلف أنه ولع بنظم الشعر، وأجاد في نظمه. وقد قال عنه صاحب (شعراء الغري)، أنه "شاعر مجيد

مطبوع، رقيق الأسلوب، قوي الديباجة، مشرق اللفظ، أخاذ في سبكه ومتانته". وقال في شاعريته صاحب (أعيان الشيعة) أن "له اليد الطولى في التاريخ والقدح المعلى في التخميس الثمين والتشطير الأثير، ومما يذكر أن مزية التجويد في الشعر انتقلت من جده الشيخ إبراهيم بن يحيى إلى فرع بيته ودونهم في المزية بنو عمه من آل نصر بن الشيخ إبراهيم يحيى".

ويجب أن نشير هنا إلى ما كان للبيئة العائلية التي فطر عليها الشيخ إبراهيم، من أثر قوي في سبك شاعريته، فقد ذكر المؤرخون أن والده وجده شاعران معروفان، وأن أبنه عبد الحسين وحفيده محمد تقي شاعران أيضاً.

ولهذا فقد تركت هذه البيئة أثراً قوياً في نفسه وانطباعاً متيناً في تفكيره. كما كان للبيئة الأدبية التي عاش فيها في النجف أثر مهم أيضاً، فهذه البيئة، التي يتنافس فيها الأدباء والشعراء على الإبداع في الإنتاج الأدبي، متناقلين أخبار الأدب والتاريخ، عاقدين الجلسات الأدبية للمناقشة وتبادل الرأي، هذه البيئة، لا بدّ أن تكون ذات أثر بعيد وعميق في شعر الشيخ إبراهيم، أما جولاته وأسفاره من لبنان إلى العراق ثم عودته إلى لبنان، فقد فتّحت واعيته وجعلته يطلّع بصورة

أفضل على أفاق الحياة، مما كان لها الوقع الطيب في شعره. فهذه- الأسباب الثلاثة هي عوامل سبك ومتانة شاعرية الشيخ إبراهيم.

أما الأغراض التي تطرق إليها المترجم، فقد كانت تقليديه، وأهم هذه الأغراض المدح والرثاء والتهنئة والتقريض والتاريخ والإخوانيات، والتخميس والموشحات، ومن جميل **موشحاته:**

أيهـــا العـــازل دعنـــي والصـــبا

لـــيس يصـــغي لعـــذولٍ مســـمعي

تخـــذ القلـــب التصـــابي مـــذهبا

فهـــو عـــن صـــبوته لـــم يرجـــعِ

مـا لمـن فـات عهـوداً للهـوى

أن يـــرى ممـــا جـــرى معتـــذرا

كـلّ م زلَّ عـن الـنهج هـوى

وجرى في سقرٍ معْ من جرى

عرف السر يقيناً مّنْ روى

عن بني عذرة يوماً خبرا

زنجا من قد توقى العطبا
وقضى عن عشقه في خدعِ
ورعى حق الهوى من شربا
جرع الحتف بسفح الاجرعِ

أنا عبد للهوى لا بل أنا

ربّه الناهض في أعبائه

وأنا السالك من غير إنا

سبل الأهواء في أرجائه

مــن يكــن مــن دهــره ذاق عنــا

وزحـى قصدي شـفى مـن ورائـه

أو يكـــــن يومـــــاً لــــــرمسٍ ذهبـــــا

قلـــــت يـــــا أيتهـــــا الــــــنفس أرجعـــــي

ولكـــــم ســــــام امــــــرؤ منقلبـــــا

فــــي الــــردى إذ لــــم يكــــن متبّعـــــي

ومـن رثائياتـه الجميلـة هـذه الأبيـات فـي رثـاء الإمـام الحسين (عليه السلام):

مــا أنــسَ لا أنــسَ مســراهم غــداً غــدوا

إلـــــى الكريهـــــة فـــــي جـــــدٍّ وتشـــــميرِ

ثــاروا وقــد شــرب الراعــي كمــا حملــتْ

أســـد العـــرين علـــى ســـرب اليعـــافيرِ

مـــن كـــل معتصـــم بـــالحق، ملتـــزمٍ

بالصـــدق متســـمٍ، بـــالخير مـــذكورِ

فـــلا تعـــاين مـــنهم غيـــر منـــدفعٍ

كالســـيل يخـــبط مثبـــوراً بمثبـــورِ

كـــلّ يـــرى العـــزّ، كـــل العـــزّ، مصـــرعه

بالســـيف كـــي لا يعـــاني ذلّ مأســـورِ

وحـين جـاء القـرى يبغـي الـردى سـقطوا

علـــى الثـــرى بـــين مـــذبوحٍ ومنحـــورِ

وكتب إلى أصدقائه وأساتذته في النجف، من جبل عامل، هذه الأبيات:

إليكمـــو نفثـــة صـــبٍ مـــا ســـلا

عهـــدكمو علـــى النـــوى ولا قـــلا

وهـــاكمو جـــذوره صـــدرِ قبســـتْ

مـــن جمـــر أحشـــاء المعلـــى شـــعلا

أحبتـــي، مـــا بـــذتُ عـــن ربعكمـــو

متخـــذاً فـــي النـــاس عـــنكم بـــدلا

كـــلا ولا أرتضـــيت لـــي ســـوى الحمـــى

ولا الحمـــــا والســـــاكنية منـــــزلا

وإنمـــا طـــوّح بـــي عـــن ارهـــنكم

أمـــرٌ ســـقاني المـــرّ صـــاباً حنضـــلا

وســـاقني للجبـــل الأقصـــى ومـــن

جبلتـــــــي أن لا أود الجـــــــبلا

وهـــا أنـــا أطـــوي جـــوانحي علـــى

نـــار جـــوي وطيســـها لا يصـــلى

ومن أبرع ما في شعره وجدانياته، ذلك لأن هذه الوجدانيات إنما تصدر عن قلب عاطفي رقيق، فهي ليست كالأغراض التقليدية الأخرى، التي قد لا تكون صادرة عن القلب، بل قد تكون ممزوجة بالرياء والكذب. ومن وجدانياته هذه الأبيات:

علـى الصـبّ قـد ضـاقت لعمـري مذاهبـه

وبـــان عـــزاه حـــين بانـــت مصـــائبه

ومـــا هجعـــت منـــه العيـــون ولـــم يكـــن

يســـــامره فـــــي الليـــــل إلاّ كواكبـــــه

فواعجبـــــاً! نيـــــران قلبـــــي تســـــعرت

ولـــم يطفهـــا مـــن دمـــع عينـــي ســـحائبه

فهـل يـا تـرى أحظـى ولـو بعـض سـاعةٍ

بـــــه وعلـــــى طـــــول التجـــــافي أعتابـــــه

ولا صـــبر لـــي فيـــه علـــى كـــل حـــادث

يشـــيب لـــه مـــن كـــل طفـــل ســـحائبه

هنيئـــاً لمـــن لـــم يـــدر مـــا لوعـــه النـــوى

ولا ســـــهمها بـــــين البريـــــة صـــــائبه

وطـــوبى لصـــبٍ لـــم يصـــب دموعـــه

لبعـــد حبيـــب قـــد تنـــاءت ركائبـــه

ونختتم هذه المختارات من شعر الشيخ إبراهيم، بهذه القطعة الجميلة، وهي مقتطفة من قصيدة تهنئة:

حيتـــــك بـــــالورد النضـــــير

حـــــوراء فاقـــــدة النظيـــــرِ

عـــــزاء تهـــــزأ أن نـــــدت

بالشـــــمس والقمـــــر المنيـــــرِ

تزهـــــو بلـــــون جمالهـــــا

لا بالـــــدمقس ولا الحريـــــرِ

ويضـــــوع لا ينفـــــك مـــــن

أنفاســـــها أرج العبيـــــرِ

وإذا مشـــــت ســـــجع الحلـــــي

مرجعـــــاً ســـــجع الطيـــــورِ

وقوامهـــــا غصـــــن النقـــــا

لا بالطويـــــل ولا القصـــــيرِ

مـــــا غـــــاب بـــــدر جمالهـــــا

إلاّ بـــــــــديجور الشـــــــــعورِ

رود لهـــــا جيـــــد المهـــــاة

ومقلـــــــة الظبـــــــي الغريـــــرِ

هذا هو الشيخ إبراهيم، الشاعر اللبناني الذي عرف في العراق، أننا نرجو أن نكون قد قدمنا للقراء لمحة يتعرفون بها على أدبه وشعره.

السيد مهدي السيد داود

نشرت في مجلة (الأديب)
في عدد آب (أغسطس) ١٩٥٨

لا يختلف الباحثون والأدباء والمؤرخون، في تقدير الدور الذي لعبته الأسر في تطور وتنشيط الحركة- الأدبية الفراتية في القرن التاسع عشر الميلادي، فقد ساهمت هذه الأسر في مدّ يد العون إلى الأدب والأدباء- وخاصة الشعراء منهم- سواء كان هذا العون مادياً أو أدبياً، ويمكن أن نشبه وضع الشعر في هذه الفترة، بوضعه في العصر العباسي الثاني، فأمراء الدويلات وملوكها كانوا يحتضنون الشعراء بعنايتهم وتوجيههم طبقاً لأغراضهم السياسية، وكذلك أصحاب الأسر يفعلون.

ويمكن أن نعتبر وجود هذه الأسر عاملاً رئيسياً في نمو الأغراض التقليدية للشعر، كالمدح والرثاء والتهنئة والخ...

ومن هذه الأسر مَنْ كان من رجالها أدباء أيضاً، كأسرة السيد سليمان الكبير، التي نبغ منها في الشعر والأدب كل من سليمان الكبير وسليمان الصغير والسيد حيدر الحلي والسيد

مهدي السيد داود- موضوع البحث- وعبد المطلب الحلي. كما أن هناك عدد آخر من رجال هذه الأسرة قد نبغوا أيضاً[١].

وقد مرَّ علينا ذكر السيد مهدي في دراستنا للسيد حيدر الحلي[٢] ونود الآن أن نتوسع في دراسته ودراسة شعره وحياته، ففي ذلك، ولا شك، بعض الفائدة المتوخاة من وضع هذه الدراسات.

حياته وأحواله:

فالسيد مهدي هو حفيد الشاعر سليمان الكبير، وقد ولد في الحلة سنة ١٢٢٢هجـ-١٨٠٣م، ونشأ فيها. وقد حمل عبء تربيته أخوه الشاعر سليمان الصغير والد السيد حيدر الحلي، وما أن بلغ من الشباب البداية حتى بدأ يدرس ويتثقف، فدرس علوم العربية والأدب على أخيه المذكور، ودرس الفقه على الشيخ حسن بن جعفر آل كاشف الغطاء، مؤلف- كتاب (أنوار الفقاهة).

---

[١] ومنهم، السيد داود السيد سليمان الكبير، والسيد حسين الحكيم، والسيد عباس السيد حيدر الحلي، والسيد حسين السيد حيدر الحلي ومرزة الحلي وسليمان السيد مرزة الحلي.

[٢] في مجلة الأديب البيروتية عدد آب ١٩٥٧م ص٤٦-٤٧.

على أن ما حصله من دراسته هذه، لم تخنق- الرغبة التي نشأت في قرارة نفسه بمواصلة الدراسة، فسافر إلى النجف طالباً العلم للحركة وناشداً توسيع مداركه، وكانت النجف آنذاك مركزاً للحركة الدينية والأدبية والفقهية. وكان أستاذه الأول في النجف الشيخ محمد حسن الشيخ باقر مؤلف كتاب (الجواهر) في الفقه.

ومن الطبيعي أن يتعرف السيد مهدي خلال- بقائه في النجف على علمائها وأدبائها وشعرائها، مما كان له- ولا شك- الأثر الحسن في تطوير شعره وتوجيهه الوجهة الحسنة.

وعندما عاد إلى الحلة، كان السيد مهدي القزويني- من زعماء مدينة الحلة آنذاك، قد بدأ بنشر رسالته الإصلاحية، فآزره شاعرنا وعُدَّ في هذا المجال من أعظم مؤازيه.

ومن الجدير بالذكر هنا، أن شاعرنا- كما يروي المؤرخون- كان من كبار الأدباء والشعراء، ومن المطلعين على علوم العربية ودقائقها إطلاعاً واسعاً، وقد وصفه أحد المؤرخين بغزارة المادة وكثرة الوقوف على أشعار العرب وتاريخهم وسير رجالهم. فما لبث أن عرف في الأوساط الأدبية في الحلة، وعُدَّ من شيوخ الأدب ومن صدور رجاله، كما أنه

نهض بالزعامة الدينية التي توارثها عن أعلام أسرته على أكمل وجه.

وقد وجدت في مخطوطة تاريخية كتبها السيد مرزة الحلي الشاعر[١]، ما يشير إلى ذلك ويضيف إلى السيد مهدي الخلق الكريم والفقه، كما إنه يشير إلى اجتهاده بفكرة منيرة وقريحة غزيرة، حتى كان عنده تلاميذ من فحول شعراء وأدباء ذلك العصر، ومن هؤلاء الشعراء حمادي الكواز، وحسن امصّبح وحسون العبد الله والشيخ علي عوض، ومحمد الملا وحمادي نوح وغيرهم.

ومن هذا يتضح لنا كون شاعرنا صاحب مدرسة أدبية رفيعة المقام آنذاك، على أن أعظم خدمة قدمها السيد مهدي للأدب العربي، تربيته للسيد حيدر الحلي ، أمير المراثي في الشعر العربي، تربية أدبية رفيعة، ومن الطبيعي أن نرى السيد حيدر الحلي متأثراً تأثيراً شديداً بعمّه ومربيه وأستاذه الأول، وفي خلال دراستنا لديواني الشاعرين المذكورين، نجد تشابهاً

---

[١] كتبت هذه المخطوطة سنة ١٣٢٤هـ-١٩٠٥م- وتقع في ٥٤ صفحة من القطع الصغير. وتوجد عند ابن المؤلف السيد سليملن مرزة الحلي في قرية الحصين بلواء الحلة.

كثيراً في المعاني، ومما لا ريب فيه إن السيد حيدر قد أقتبس هذه المعاني وصاغها بأسلوبه الخاص. ومن أمثال هذا التشابه قول السيد مهدي:

وأن غيُـــــر الخطـــــب ألوانهـــــا

تـــرى وجهـــه فـــي الخطـــوب طليقـــا

وقول السيد حيدر الحلي:

تزيـــــد الطلاقـــــة فـــــي وجهـــــه

إذا غيـــــرّ الخـــــوف ألوانهـــــا

وأيضاً، قول السيد مهدي:

بالقضـــب زوجـــت النفـــوس وطلقـــت

فـــــي الله دون إمامهـــــا أزواجهـــــا

وقول السيد حيدر:

ووفـــت بهـــا عقـــدت فزوجـــت الطلـــى

بالمرهفـــــات وطلقـــــت حوباءهـــــا

وقد توفي السيد مهدي في الحلة في الرابع من محرم سنة ١٢٨٩هجـ-١٨٧٠م فكان لوفاته رنّة أسف في أوساط الأدب والدين في الفرات الأوسط عامة وفي نفوس تلامذته وأقربائه خاصة. ومن أبدع المراثي التي قيلت في حقه، مرثية ابن أخيه السيد حيدر الحلي التي مطلعها:

أظبـــي الـــردى أنصـــلتني وهـــاك وريـــدي

ذهـــب الزمـــان بعـــدّتي وعديـــدي

شعره ومكانته الأدبية:

ومما لا شك فيه أن السيد مهدي كان ذو مكانة أدبية رفيعة، بالنسبة لأقرانه شعراء تلك الفترة. والذي ونود أن نبينه هنا هو كينونة شاعرنا كزعيم لمدرسة أدبية ذات اتجاه خاص، فالذي نعرفه عن شعره، جنوحه إلى التعبير عن الوجدان تعبيراً يقرب إلى الواقعية الصريحة مع إدخال شيء من الخيال. ونجد في الأغراض التقليدية لشعره كالمدح والرثاء والتهنئة، ما يوضح لنا هذا. وقد ساد على هذا (م٤- دراسات) الاتجاه الذي رسمه لنفسه، كثير من تلاميذه كالسيد حيدر الحلي- في غزله

الجميل في قصائده الكلاسيكية الأغراض- وحمادي الكواز- في تعلقه الشديد بالعاطفة.

ومن أمثال ذلك هذه الأبيات الرثائية التي يصوَّر بها حزنه الشديد وآلأمه لاستشهاد الإمام الحسين:

لا غـــرو لـــو قـــد لات يســـرح عـــن فـــم العـــذّال أذنـــا

ويطـــــــــــارح الورقـــــــــــاء إن

حنّـــــتْ لفقـــــد الألـــــف حنّـــــا

متفننـــــــــاً فـــــــــي نوحـــــــــهِ

بيـــــــــدي لهافنّـــــــــاً وفنّـــــــــا

فبعينـــــــــه الـــــــــدنيا غـــــــدت

مـــــن عظـــــم يـــــوم الطـــــف ســـــجنا

أما الميزة الأخرى التي يتصف بها شعره، فهي جنوحه نحو التعقل، وهذا واضح في شعره الحماسي الذي نجد فيه قوة في الخيال، وبراعة في التصوير. ومن شعره الحماسي هذه الأبيات:

العـــزّ بـــي عـــن المقـــام حلقـــا

لغايـــةِ مـــن العلـــى لا ترتقـــى

هـــل كيـــف أغـــدو للزمـــان ضـــارعاً

أيضـــرع المـــولى لعبـــدٍ أبقـــا

ومـــن غـــدا مـــن أول الـــدهر إلـــى

آخـــره إلـــى الســـهى معتنقـــا

كيـــف علـــى ثـــرى الهـــوان خطـــه

القمـــا لحـــر وجهـــه أن تلســـقا

وهـــو إلـــى ذرى غرتـــه القعـــ

ـــساء طـــائر العقـــول مـــا رقـــى

ومن شعره الذي يتصف بهذا الوصف شعر الحكمة، ومنه هذان البيتان:

أقطـــع هـــديت علائـــق الـــنفس

أتعـــيش فـــي أمـــل إلـــى الـــرمس

تمســـي وتأمـــل فـــي الصـــباح تـــرى

خيـــراً فتصـــبح مثلهـــا تمســـي

ولعل أجمل ما في شعر الحكمة عنده، هذه التأملات الفلسفية التي تجعلنا معتقد باهتمامه بالمحتوى إضافة إلى اهتمامه بالقالب. وهذا يعني الخروج بصورة جزئية عن القوالب الجامدة للشعر التقليدي الذي كان رائجاً آنذاك.

ولم يكن المدح في شعره مدحاً تقليدياً، بل كان مدحاً واعياً مبرراته ودوافعه، كما أن له صفاته التي تميزه عن المدح التقليدي. ومن مدحه هذه الأبيات من قصيدة طويلة:

أتتـك ومنهـا الشـمس فـي الوجـه تشـرق

ونشـــر الخزامـــي فـــي الغلائـــل يعبـــق

رشـــيقة قـــد فـــي ســـهاه لحاظهـــا

حشـا قوسـها عـن قـوس حاجـب ترشـق

ولـــم تشـــبه الأغصـــان قامـــة قـــدها

وأنـــى ومنهـــا قدّميّـــه أرشـــق

ولـــيس التـــي بالمـــاء يـــورق غصـــنها

كمـــن هـــو مـــن مـــاء الشـــبيه مـــورق

لقـــد فضـــحت فـــي عينهـــا جـــؤذر النقـــا

وأن هـــي فـــي عينيـــه ترنـــو وترمـــق

تمـــيس وقرطاهـــا قليقـــان، والحشـــا

علـــى وفـــق قريطهـــا مـــن الشـــوق يعبـــق

ومن شعره الوجداني، هذه الأبيات الجميلة من قصيدة طويلة:

قـــد اختلســـت منـــه عيـــوني نظـــرة

أرتنـــي لهيـــب النـــار فـــي جنـــة الخلـــد

وفـــي وجنتيهـــا حمـــرة شـــك نـــاظري

أمـــن دم قلبـــي لونهـــا أم مـــن الـــورد

وفـــي نحرهـــا عقـــد توهمـــت ثغرهـــا

لآلـــؤه نظمـــن مـــن ذلـــك العقـــد

ومـــا كنـــت أدري مـــا المـــدام وإنمـــا

عرفـت مـذاق الـراح مـن ريقهـا الشـهد

وقبـــل اهتـــزاز القـــد مـــا هـــزة القنـــا

وقبـل حسـام اللحـظ مـا الصـارم الهنـدي

آثاره ومؤلفاته الأدبية:

أما مؤلفاته فهي ثمينة، وأهمها:

١. مصباح الأدب الزاهر: وهو مخطوط ثمين، ترجم فيه لعدد كبير من شعراء عصره، وقد قدّمه هدية لآل كبة، ولا يزال الكتاب محفوظ في مكتبتها ببغداد.

٢. المختار من شعر العرب، ويقع في جزئين.

٣. المجموع، وهو مخطوط أيضاً، ويبحث عن أنواع البديع وتراجم لبعض الشعراء ونوادرهم، ومحاسنهم وسقطاتهم وبعض الحكايات، ويقع في ٢٨٢صفحة.

٤. ديوانه، وهو على قسمين، الأول فيما قاله العلماء والأعيان وخاصة أشراف بغداد، والثاني فيما قاله في رثاء ومدح آل البيت. ويقع في ١٨٦صفحة.

ومما يثير الأسف حقاً أن تبقى جميع مؤلفاته ومخطوطة، وهي على أهمية كبيرة وخاصة ديوانه، وإننا لنأمل أن يلتفت من يعينهم الأمر إلى هذا الموضوع ويوفوه حقه.

الشاعر العراقي السيد سليمان الكبير

نشرت بمجلة (الأديب) اللبنانية في عدد تشرين الثاني ١٩٥٧

إذا كان من الصعب أن نتحدث بإسهاب وتفصيل دقيقين عن أدباء وشعراء القرن التاسع عشر الميلادي، في العراق، فإن ذلك راجع لعّدة أسباب. وتأتي قلة المصادر وندرتها في مقدمة هذه الأسباب. فالمصادر المطبوعة المتيسرة لا تشكل إلاّ مجموعة صغيرة من المعلومات والنتف الموجزة، بينما تضم في طياتها أمثلة كثيرة للنتاج الأدبي لذلك العصر.

ومن الخطأ القول أننا نستطيع الاعتماد على النتاج الأدبي فقط، في دراستنا التحليلية هذه، لأن هذا النتاج يحتوي على الغث والسمين كما يحتوي على أمثلة كثيرة من النتاج التقليدي المبتذل. فإذا وضعنا هذا النتاج في غربال النظرة التحليلية، فإن ما يبقى منه من جيد النثر والشعر، لا يكفي مطلقاً لكي يشكل ركيزة لدراسة تحليلية مفصلة.

أما المصادر المطبوعة، فقد وضعتها الظروف في أيدي رجال لا يعرفون مكانتها الأدبية، فكان من جرّاء ذلك أن تعّرض الكثير من هذه المصادر للضياع والتلف.

على أن هذه الأسباب لا تبرر اعتكافنا عن تعريف الحركة الأدبية في العراق في القرن التاسع عشر الميلادي. ويقيني أن القارئ العربي سيجد العذر لنا، عندما يجد أن هذه الدراسات غير كاملة.

أن الغرض من كل هذه السطور السالفة أن نقدم مثلاً لها في دراستنا الجديدة هذه، فالسيد (سليمان الكبير) وأن كان شاعراً من كبار شعرائنا المنسيين، إلاّ أن المعلومات التي توفرت لنا عنه، قليلة جداً مع الأسف.

حياته وأحواله:

ولد السيد سليمان بن داود الملقب بـ(الكبير) تمييزاً له عن حفيده سليمان الصغير، في مدينة النجف الأشرف عان ١١٤١هجـ-١٧٢٢م. وقد نشأ فيها وأخذ العلم عن أساتذتها على الطريقة التعليم الدينية التقليدية.

وكان معروفاً بحبه الواسع للإطلاع والدراسة، مما جعله يشتهر بسعة الإطلاع في المجالات الثلاثة الدين والطب والأدب. على أنه استفاد من اطلاعه الواسع في الطب فامتهنه، وقد برع فيه ووضع بضعة مؤلفات ورسائل طبية.

وكان من نتيجة امتهانه الطب أن لازمه لقب (الحكيم) طوال حياته، كما رزم بعده قسماً من أولاده.

وعندما استكمل دراسته في النجف، غادرها- سنة ١١٧٥هجـ-١٧٥٦م إلى الحلة، حيث أقام هناك، فما لبث أن عرف في أوساط العلم والدين والأدب.

وقد توفي السيد سليمان ليلة الأحد الـ٢٤ من جمادي الثاني سنة ١٢١١هجـ-١٧٩٢م بالسكتة القلبية. وشيع جثمانه إلى النجف حيث دفن هناك، ومن الجدير بالذكر أن عدداً كبيراً من الشعراء قد رثوه بقصائد تتفاوت في الجودة، ومن أجمل هذه القصائد، قصيدة الشيخ محمد رضا النحوي الذي كان صديقاً للمترجم، والتي مطلعها:

ألمـــا علـــى دار النبـــي وأنشـــدا

بهـا قـد قضـى لمـا قضـى الـدين والهـدى

ومما يجب أن نذكره عن أحوال المترجم، أن نسبه يتصل بالإمام الحسين بن علي (ع). كما أن جدّه السيد حيدر كان مرجعاً لسكان المزيدية وما جاورها من الأطراف والنواحي (والمزيدية قرية صغيرة تقع إلى جنوب الحلة بمسافة)، وكان يعرف بـ(الشَرع) وله في المزيدية مسجد وآثار معروفة باسمه،

كما أنه خلّف ضياعاً وبساتيناً تعرف باسم آل شهاب- وهو الجدّ الخامس للسيد سليمان-.

وقد أعقب السيد سليمان خمسة أبناء، هم حسين الحكيم (وهو شاعر طبيب) وداود، أحد مؤرخي عصره، وعبيد وعلي وحيدر.

وقد كان السيد سليمان سريع البديهة والجواب، وكان مهاباً، محترماً، محبوباً. ويتبين لنا ذلك من هذه الأبيات في مدحه، وهي لشريف بن فلاح الكاظمي:

لله درّك مـــــن وفـــــي ناصـــــحٍ

لا ناســـــياً عهـــــدي ولا متناســـــي

يـــا قـــدوة العلمـــاء والأدبـــاء والـــ

ـــصلحاء يـــا رب النـــدى والبـــاسِ

يـــا مَـــنْ يقـــيس بشـــعره شـــعر الـــوردى

أخطـــأت مـــا الأذنـــاب مثـــل الـــراسِ

لا ابتغـــي بـــدلاً بـــه مـــن ذي الـــورى

مـــــن ذا يبـــــدل تبـــــره بنـــــاحسِ!

شعره ومكانته الأدبية:

ويمكن القول أن السيد سليمان هو من مؤسسي النهضة الأدبية الفراتية في القرن الثالث عشر الهجري ويكفينا أن نشير إلى المغارس الأدبية التي غرسها، وإلى الأدباء الذين تخرجوا على يديه، أو بتوجيهه، فنذكر ولده حسين الحكيم وولده الآخر السيد داود وحفيده السيد مهدي وحفيده السيد سليمان الصغير، وكذلك السيد حيدر الحلي.

وقد عرفْ السيد سليمان في الأوساط الأدبية في النجف والحلة، فكان يساجل عدداً من كبار شعراء تلك الفترة ويطارحهم ويعارضهم، ومن هؤلاء الشعراء محمد رضا النحوي والشيخ أحمد النحوي وابن الخلفة وغيرهم. ومن مساجلاته مع الشيخ أحمد النحوي هذه الأبيات التي بعث بها إليه- أي إلى الشيخ أحمد- وفيها لزوم ما لا يلزم:

أن تجفني لم تلقني لك جافيا

فلئن هجرت أزرك شوقاً حافيا

مهما كتمت الحب لم يك خافيا

حيث الوداد عليه كل جوارحي

جبلت، وكان أود منها صافيا

ومنها هذه الأبيات:

أن يمس جسمي من بعادك مستقيما

يكن الوصال له طبيباً شافيا

وإذا تعاضل داء هجرك مجهدا

كان الوصال- إذا وصلت- معافيا

فرأيت هجرك والوصال كليهما

ذا مثبتاً وصلاً وذلك نافيا

ولئن جفا هذا الزمان وأهله

فأقل وصلكم أراه كافيا

ناهيك عن فخرٍ وجدت بقولكم

"سلّم عليه لنا سلاماً وافيا"

ومن مميزات شعره أنه كان تقليداً، وكذلك كان في الأغراض، وهي المدح والرثاء والاخوانيات والغزل والخ...، إلاّ أن ما يميز شعره هو خلّوه من الابتذال الذي نجده عند عدد كبير من شعراء عصره، والسبب في ذلك يعود إلى أنه لم يتخذ

الشعر مهنة، كما أتخذها العدد العديد من رعيل الشعراء آنذاك، وقد كان يكسب رزقه من مهنة الطب التي زاولها فبرع فيها. ومن الأمثلة على هذا اللون من شعره هذه القصيدة التي نقتطفها من قصيدة مدح، ويمكن اعتبارها نموذجاً للمدح الخالص والخالي من الابتذال في تلك الفترة:

ظهور المعالي في ظهور النجائب...

ونيل الأماني بعد طي السباسب

فدع دار ضيمٍ دبَّ فيك اهتضامها

كما دبَّ في الملسوع سمّ العقارب

... أحادي السري رفقاً بمهجةِ والهٍ

تناهبها في السير أيدي النجائب

فما لي إلاّ عظم شوقي مطيةٍ

ولا زاد لي غير الدموع السواكب

وعج بي على أطلال دار عهدتها

معاهد جود يم بخل السحائب

ديـــار بهـــا كـــم شـــيد للمجـــد ركنـــه

بســـمر القنـــا والماضـــيات القواضـــب

ربـــــوع يميـــــر الوافـــــدين ربيعهـــــا

ســـحائب جـــود عنـــد بـــذل الرغائـــب

مهـــــابط وحـــــي أفقـــــرت وتنكـــــرت

معالمهـــــا مـــــن فادحـــــات المصـــــائب

ومن الأبيات التي تقدمت، يمكنك أن تتعرف إلى مدى قوة ومتانة شعر السيد سليمان. ومن الجدير بالذكر أن مجموعة شعره لم تجمع، وهي متفرقة بين الكتب المطبوعة والمخطوطة، ولا ريب في أن طبع هذه المجموعة يقدم إلى الأدب العربي خدمة جديرة بالاعتبار.

آثاره الأدبية:

وقد ترك السيد سليمان وراءه جملة من الكتب والرسائل الأدبية والعلمية والدينية، إلاّ أن ما يثير الأسف حقاً أن تضيع هذه المؤلفات. وفي الكتاب المخطوط الذي وضعه السيد داود الحلي- نجل الشاعر- عن سيرة والده وما قيل فيه من نثر

وشعر ومدح ورثاء وتهنئة[١]. ذكر بأنه "أتقن العلم وبرع في الطب والأدب، وصنف في كل علم وفن كتاباً".

كما أن الشيخ محمد علي اليعقوبي ذكر في كتابه (البابليات)[٢]، ما يفيد بعثوره على رسالةٍ صغيرة الحجم للمترجم سماها (خلاصة الإعراب) وهي مرتبة على مقدمة وفصول أربعة وخاتمة، ويرجح أنه كتبها لبعض تلاميذه.

ومن الطريف في أخبار المترجم أنه كان خطاطاً ماهراً، وسريع الكتابة، بحيث أنه كتب كتاباً واحداً لابن طاووس في يوم واحد[٣].

ولا ريب في أن المترجم كان شاعراً كبير المقام عند شعراء وأدباء عصره، بالإضافة إلى السمعة الطيبة التي أكتسبها أثناء امتهانه الطب. إن هذا مما يثير الأسف حقاً لضياع مؤلفاته الأدبية واللغوية والطبية، ولبقاء شعره موزعاً في بطون الكتب المخطوطة المعرضة للتلف والضياع، على أن

---

[١] **هذا الكتاب مخطوط، ويقع في (٢٦٠) صفحة موجودة عند أحد رجال أسرة آل سليمان في الحلة.**

[٢] **البابليات، الجزء الأول، ص١٨٨.**

[٣] **البابليات، الجزء الأول، ص١٨٨.**

أجل ما نقدمه من خدمة للأدب العربي، ومن إنصاف لشاعرنا هو طبع مجموعة شعره المخطوطة، ودراسة سيرته وشعره دراسة جدية مسهبة.

ونحن، ولا نفقد الأمل في هو الباحث الجدير بهذا العمل، إلاّ أن كل ما نرجوه أن يتحقق هذا الأمل في القريب العاجل.

عباس النجيفي
حياته وشعره

نشرت في مجلة (الورود) اللبنانية
عدد كانون الأول سنة ١٩٥٧

إن أهم ما امتاز به النتاج الأدبي للقرن التاسع عشر الميلادي، تلك الحركة الاحترارية التقليدية التي يمجها الذوق السليم. ولقد كان للظروف الاجتماعية والسياسية والدينية الأثر المهم في نمو الاتجاه الاحتراري التقليدي وما تبعه من التأكد بصورة مسرحية بحتة على الأهداف الكلاسيكية للشعر والنثر العربيين.

ويبدو أن كثيراً من الأدباء والنقادة الفنيين، ابتعدوا عن دراسة وتقييم النتاج الأدبي لهذه الفترة بعد تدبرهم الخاطئ عن عدم الفائدة المرجوة من وراء هذه الدراسة. والواقع، أن الأمر يبدو في مناظرنا على العكس تماماً، فإن هذا النتاج، على الرغم من بروز الحركة الاحترارية التقليدية الواسعة النطاق، والتي استمرت مدة ليست بالقصيرة، لا يعدم وجود بعض الإبداع الفني فيه.

وفي دراستنا هذه، عن الشاعر الفراتي عباس النجفي، نستطيع أن نقدم مثالين ناصعين للنتاج التقليدي المبتذل وللنتاج التقليدي المبدع.

حياته وأحواله:

وشاعرنا هو عباس بن الملا علي بن الملا ياسين البغدادي الولادة والنجفي المنشأ. وقد كان والده من الأدباء الفضلاء و(أحد الأتقياء الصلحاء والنساك العرفاء)[١]. ولما كانت النجف آنذاك المركز الرئيسي لأقطاب ومتتبعي الحركة الدينية الإسلامية، ولما كان والد شاعرنا من هؤلاء، بالإضافة إلى كونه بزازاً، فقد انتقل بعائلته من بغداد إلى النجف في سنة ١٢٤٧هجـ-١٨٣١م.

أما ولادة شاعرنا فقد كانت في بغداد سنة ١٢٤٢هجـ-١٨٢٦م أي قبل خمسة أعوام من هجرة الملا علي إلى النجف. وقد أيد هذا الرأي وذكره كل من علي الخاقاني في (شعراء الغري) والدكتور محمد مهدي البصير في (نهضة العراق الأدبية)، إلاّ أن صاحب- الحصون المنيعة- المخطوط ذكر في ص٣١٦ من الجزء التاسع أن "ولادته عام ١٢٤٤هجـ

---

[١] **شعراء الغري لعلي الخاقاني ج٥ ص٣.**

ببغداد" أي عام ١٨٢٨م. وقد أيد هذا الرأي صاحب– الروض النضير – في ص١٨٨، لكن المرجح لدينا هو الرأي الأول.

وننتقل الآن إلى النجف لنتتبع أحوال شاعرنا، فقد أتبع والد شاعرنا في تربية ولده عباس الطريقة التعليمية السائدة آنذاك. وما أن شب المترجم على الطوق حتى بدأ أتصاله بأدباء وشعراء النجف.

وقد كان هذا الاتصال نتيجة الميل القوي للأدب ودراسته، وخاصة الشعر. وكذلك نتيجة التشجيع المعنوي والمادي الذي تلقاه من والده، أما علاقات الشاعر بالأدباء والشعراء فقد توثقت بعد أ، بدأ ينظم الشعر، وكذلك نتيجة التشجيع المعنوي والمادي. وكان أساتذته يرون له مستقبلاً حسناً في هذا الميدان، بالنظر للذكاء الذي كان يتصف به. وكان من أساتذته إبراهيم صادق العاملي[1]. والشيخ حسن قفطان، ووالد الشاعر، والسيد حسين بحر العلوم، على أن الأستاذ الذي كان له الفضل الأكبر في رفع معنويات شاعرنا هو السيد حسين بحر العلوم، فقد كان هذا الرجل أديباً، شاعراً،

---

[1] **راجع ص٣٠.**

عالماً، متديناً، مهاباً من قبل الجمهور العربي في النجف مما هيأ للشاعر حظاً عظيماً وفرصةً- سانحة ومكانة لا بأس بها.

ولقد أستغل شاعرنا هذه الظروف فبدأ يزيد من إطلاعه حتى غدا ممن يشار إليه بالبنان في كثرة الوقوف على الأدب العربي وتاريخ الأدباء والشعراء.

أما في ميدان أن الشعر، فإنه نظم الشعر وهو لما يزل صغيراً، وما لبث أن عرف في أوساط الأدب فكانت له المنزلة الفضلى، وقد وجدت عدداً كبيراً من القصائد التي يمدح بها ناظموها شاعرنا. ومن هذه القصائد من قالها أدباء كبار من مثل عبد الباقي العمري، حيث يقول في موهبته وذكاءه وسرعة خاطره:

أأبـــا الأمـــين لقـــد شـــرفت مفتقـــراً

إليـــك مغنـــاه عـــن معنـــاه أغناكـــا

وأنـــت أنـــى بـــك انصـــاعت ركـــاب نـــوى

مـــا فـــات مغنـــاك مـــن أحشـــاه مغناكـــا

واحسب أن هذه شهادة لها قيمتها، فعبد الباقي العمري من شعراء النخبة الممتازة في ذلك العصر، وأن كان الكثير من

شعره يتصف بالتقليدية المبتذلة والأهداف- الكلاسيكية، ولكن هذا عائد إلى التأثير الاجتماعي.

وقد ذكر أحد المؤرخين أن شاعرنا "غلب عليه الاشتغال بالأدب، وبرع فيه حتى نال منه تمام الأرب، فصار يشار إليه بالبنان، مع بلاغته في الفصاحة والبلاغة لم يبلغ مبلغها قس وسحبان، ولجامعيته على صغر سنه لأفراد المحاسن من الفضل، ووفور النباهة والعقل، وحدّة الفطنة والذكاء، صار له التقدم في المحافل والأندية على من هو أرفع منه من أقرانه من الفضلاء الأدباء. وقد أشار إلى ذلك الأديب الماهر عبد الباقي أفندي العمري من قصيدة مدحه بها من قوله:

تسامي على الأقران فهو أجلّهم

وأكبرهم عقلاً وأصغرهم سنّا

إلاّ أنه رحمه الله كان من المقلين في نظم القريض وغالب نظمه في نسج خمايل الأدب المزري بالروض الأريض"[1].

---

[1] **الحصون المنيعة لعلي آل كاشف الغطاء ج٩ ص٣٠١٦.**

ويعني المؤرخ بالأدب المزري، الأدب المكشوف، وهذا اللون من النتاج الأدبي لم يكن مألوفاً، وكان بعضهم ينظم فيه بقلة وبصمت، لأن التقاليد السائدة آنذاك لا تسمح للشاعر بتخطي الحواجز المفروضة عليه.

وقد توفي شاعرنا وهو لم يزل في ريعان الشباب، إذ كان عمره أبان وفاته (٣٢) عاماً. وقد خلّف ولداً واحداً أسمه (أمين).

شعره ومكانته الأدبية:

ومن السطور السالفة نستطيع أن نرسم المميزات العامة لشعره. وأول هذه الميزات الاجترارية التقليدية المبتذلة، وهذا يعني توجيه اهتمام الشاعر للصناعة اللفظية دون الفكرة، والاهتمام بالكلمة المزوقة الرنانة دون ربط الكلمات بالهدف الرئيسي للقصيدة، ومن الأمثلة على هذا النوع من الشعر هذه الأبيات التي يخمّس بها أبيات أستاذه حسين بحر العلوم، وهي تبين لنا بوضوح مدى خضوع شعراء هذه الفترة للفظ الذي كان من أعظم سلاطين الشعر آنذاك:

يـــا عـــاذليَّ مـــن المـــلام تورعـــا

أســـمعتما لـــو كنـــت أملـــك مســـمعا

إنـــي ومـــن أهـــوى فلومـــا أو دعـــا

ذنبـــا هـــوىً والبـــين أنحلنـــا معـــا

فـالنقص منـا لـم يـزل بمزيـد

طالـت علـى الـرغم النـوى دون المنـى

فغـــدا كلانـــا لا يفيـــق مـــن العنـــا

لا فـــرق فـــي فـــرط الضـــنى مـــا بيننـــا

لكننـــي عـــود الخـــلال مـــن الضـــنى

أحكـــي ويحكيـــه هـــلال العيـــد

أفـــدي الـــذي بـــالهجر أســـبل أدمعـــي

ونـــأى وإن هـــو لـــم يـــزل أبـــداً معـــي

ناديتـــــه كلفـــــاً وأن لـــــم يســـــمعِ

يـــا مـــن يـــؤجج فـــي حنايـــا أضـــلعي

نـــاراً تـــذيب القلـــب ذات وقـــود

ينبع اللون الثاني من شعره، فقد كان ذلك الذي ينبع من أعماق قلبه، بمثل أحاسيسه وشعوره الوجداني الصادق،

وقد جرَّ عليه هذا اللون من الشعر الكثير من اللوم والعتاب، وكان الأدباء يعتبرون هذا اللون من الشعر، ضرباً من الواقع المرفوض. ولكي نقدم لك مثلاً على هذا تعرض هذه القطعة الجيدة، وهي من روائع شعره الصادق الذي يكشف عن أحساساته الوجدانية، ويعرب عن النار التي تتأجج في حنايا ضلوعه، مما جعله يقول بكل حرقة والتياع وحرقة:

عــــديني وأمطلـــــي وعــــدي عــــديني

وديـنـــــي بالصــــبابة فهــــي دينــــي

ومنّـــــي قبــــل بينـــــك بـــــالتمني

فـــــإن منيتــــي فـــــي أن تبينـــــي

ســـلي شـــهب الكواكـــب عـــن ســـهادي

وعــــن عــــدّ الكواكـــــب فاســــأليني

أمـــا وهـــوىً ملكـــت بـــه فـــؤادي

ولّـــــيس وراء ذلــــك مــــن يمــــين

لأنــــت أعـــز مـــن نفســـي عليهـــا

ولســــت وراء ذلــــك مــــن يمــــين

أمـــا لنـــواكم أمـــد فيقضـــي...

إذا لـــم تقـــض عنـــدكم ديـــوني

وكنـــت أظـــن أن لكـــم وفـــاءاً

لقـــد خابـــت لعمـــر أبـــي ظنـــوني

هبـــوني أن لـــي ذنبـــاً، ومـــا لـــي

ســـوى كلفـــي بكـــم ذنـــب هبـــوني

ألســـت بكـــم أكابـــد كـــل هـــولٍ

وأحمـــل فـــي هـــواكم كـــل هـــون

يمينـــــاً لا ســـــلوتهم يمينـــــاً

وشـــــلّت أن ســـــلوتهم يمينـــــي

وبين ذلك اللون من شعره وهذا اللون، يمكن حصر نتاجه الأدبي. والذي نستطيع أن نستنتجه من اتجاه الشاعر إلى الأدب المكشوف، هو لوعه الغرام التي ملكت عليه كل كيانه وتفكيره وقد ذكر الدكتور البصير[1]، في تعليل ذلك أنه

---

[1] **نهضة العراق الأدبية لمهدي البصير ص٢٠٢.**

كان عاشقاً ابنة أستاذه حسين بحر العلوم، إلاّ أننا لم نجد ما يؤكد على هذا القول. والدليل الذي جعل الدكتور البصير يستنتج هذه- النتيجة هي شعر المترجم، فهو يقول أن شاعراً ينظم بهذه القوة، وهذه المتانة، وهذه اللوعة لا بد أن وراءه امرأة:

يـــا حبيبـــاً لديـــه قتلـــي مبـــاح

فـــي ســـبيل الهـــوى ووصـــلي حـــرام

منـــك شـــمس الضـــحى اســـتمدت ســـناها

واســـــــــتعارت لحاظهـــــــــا الآرام

لـــي قلـــب يغـــري بحبـــك مهمـــا

عنـــف العـــاذلون فيـــك ولامـــوا

يعـــذب اللـــوم فيـــك وهـــو عـــذاب

فلتلمنـــــــي بحبـــــــك اللّـــــــوام

أنـــت دون الأنـــام مالـــك رقـــي

وقيـــادي وتحـــت رقـــي الأنـــام

لـــك ألقـــي الهـــوى زمـــامي وقـــدمً

أنـــا ممـــن يلقـــي إليـــه الزمـــام

وأنا على أتم أتفاق مع الدكتور البصير على أن وراء متانة شاعرية عباس النجفي امرأة، ولكنها- على أية حال- ليست بابنة أستاذه حسين بحر العلوم، أما ما تركه الشاعر عباس النجفي من آثار فهي قصائده فقطن وهذه القصائد متفرقة بين طيات المخطوطات القديمة والكتب المطبوعة القليلة. ولا شك أن هناك ضرورة لجمع هذه القصائد وإصداراها في ديوان، ونحن ننتظر بفارغ الصبر، هذه الخدمة القيمة، ليقدمها لنا أحد أدباء الفرات الأوسط.

عائشة التيمورية
في الذكرى السادسة والخمسون
نشرت بمجلة (الأديب) البيروتية
في عدد آذار ١٩٥٨

لقد كان الشعر العربي في القرن التاسع عشر الميلادي، يتميز بالتقليد والمحاكاة، أما التجديد الذي حصل فيه، فلم يكن إلاّ تجديداً جزئياً وغير جوهري. وقد وجدت أثناء دراساتي الأدبية عن الشعر العربي في لبنان والعراق ومصر، إن هذه الصفة تكاد تغلب على الشعر العربي كلّه. ولعل لتشابه الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ما يبرر التقليد وهذا الجمود، فكان أن نمت الأغراض التقليدية في الشعر – كالمدح والرثاء والتهنئة– نمواً مطرداً، وانتشرت انتشاراً سريعاً. وقد سبق أن درست الأغراض التقليدية عند بعض شعراء العراق، كالسيد حيدر[١] وسليمان الكبير[٢]، وعباس

---

[١] **مجلة الأديب آب ١٩٥٧.**

[٢] **الأديب أيضاً تشرين الثاني ١٩٥٧.**

النجفي[١]، وعند بعض شعراء لبنان، كإبراهيم صادق العالمي[٢]، وأود أن أتحدث اليوم عن شاعرة من مصر، هي عائشة التيمورية.

حياتها وأحوالها:

ولدت عائشة عصمت بنت إسماعيل تيمور بن محمد كاشف تيمور، في القاهرة، في عام ١٢٥٦هجـ (١٨٤٠م). ونالت من التربية الأدبية قسطاً وافراً، فدرست على جملة من أساتذة العربية والفقه والدين، مثل إبراهيم مؤنس، الذي درست عليه القرآن والفقه والخط، وخليل رجائي، الذي درست عليه علم الصرف واللغة الفارسية. كما كان من أستاذاتها فاطمة الأزهرية وستيتة الطبلاوية.

وكانت منصرفة في شبابها إلى العربية، والأدب، وخاصة الشعر، بكل جوارحها، حتى تمكنت من نظم قصائد تقليدية لا بأس بها، وقد شجعها على ذلك والدها أيما تشجيع.

وفي عام ١٢٧١ هجـ (١٨٥٤م)، تزوجت من (محمد الإسلامبولي) (كان كاتباً للديوان الهمايوني في الأستانة)،

---

[١] **مجلة الورود كانون الأول ٩٥٧.**

[٢] **مجلة الرسالة تشرين الأول ١٩٥٧.**

فانصرفت عن الدراسة إلى تدبير المنزل. ومع هذا كانت تنتهز الفرص للمطالعة ونظم الشعر، وأن كانت هذه الفرص قليلة.

إلاّ أن ذلك لم يستمر طويلاً، إذ ما أن حلَّ عام ١٢٩٣هجـ (١٨٧٤م) حتى توفي زوجها، بعد أن أنجبت منه ابنة أسمها (توحيدة) وعندما كبرت ابنتها ألقت عليها مسؤولية المنزل وأعماله، وتفرغت نهائياً إلى الشعر والأدب والدراسة.

إلاّ أن ابنتها ما لبثت أن توفيت، وهي في أوج شبابها، فمسّ هذا الحادث مسّاً أليماً قلب شاعرتنا، وظلت تبكيها بقصيدها ودموعها سبعة أعوام، إلى أن راع سوء حالها أصدقائها وصديقاتها، فخففوا عنها وأقنعوها بطرد الحزن من قلبها. وعند ذاك اتجهت مرة أخرى إلى الشعر والأدب فأولتها عنايتها، وأصدرت ديوان شعر من الكتب الأدبية سنتكلم عنها عند الكلام عن آثارها الأدبية.

أما وفاتها، فكانت في الخامس والعشرين من مارس ١٩٠٢م. وقد كان لوفاتها وقع أليم على قلوب أصدقائها ومعارفها، وعلى أنصار المرأة آنذاك، إذ كانت أول مَنْ تحدّثْ التقاليد وأبرزت مواهبها بكفاحها وصبرها، بالرغم مما اعترض طريقها من عراقيل.

وقد جاء ذكرها، وذكر نبوغها، في كثير من كتب الأدب والتاريخ. فقال المؤرخ يوسف يعقوب مسكوني: "كانت أديبة فاضلة حكيمة عاقلة بارعة باهرة شاعرة ناثرة، رضعت أفاويق الأدب قبل تضلعها من اللغات- التركية، وفاقت على أقرانها فصاحةً، عند بلوغها سن الرشاد، وصارت نادرة أهل زمانها بين أهل الإنشاء والإنشاد، وسارت في مضمار أدباء هذا العصر"[١].

وقال عنها الأستاذ محمد أمين حسونة: "هذه المرأة الجليلة تمثل بحق أولى أنفاس المرة المصرية في الجو الطليق، وأولئك اللواتي عرفتهن مصر بعدها أديبات أو شاعرات أو سياسيات وما إلى ذلك، مدينات لها بهذه الوثبة الجريئة التي أيقظت المرأة المصرية، من سباتها العميق، لتتفتح عينها على مشاهد الحياة جميعاً"[٢].

ومن الذين كتبوا عنها: الأديبة الآنسة مي زيادة، والأستاذ محمود العقاد، والسيدة وردة البازجي، والأديبة زينب فواز العالمية، وغيرهم أيضاً.

---

[١] **من عبقريات نساء القرن التاسع عشر-ج١ ص٢٧- بغداد ١٩٤٦.**

[٢] **مجلة الإخاء المصرية شباط ١٩٣٣.**

شعرها ومكانتها الأدبية:

إن مكانتها الأدبية في ذلك العصر، كانت بلا شك مرموقة، ذلك لأنها من النساء الأوائل اللواتي برهن على مواهب وقابليات المرأة العربية، واللواتي كافحن وضحين في سبيل المساواة والعدالة.

أما شعرها فتقليدي، تغلب اللفظة فيه على المعنى، والشكل على المضمون، ومن هذا النوع من شعرها، هذه الأبيات من قصيدة وجدانية:

يا بغية الصبّ رفقاً بالفؤاد فقد

أشجاه ما بك من تيهٍ ومن ميلِ

بالصب ألهبت قلباً أنت ساكنه

هلا عطفت على سكانك يا أملي

قابلتُ طيفك ليلاً كي أعانقه

وقمت ألثم ثغراً شيب بالعسل

فمهجتي أحرقت من حرّ ما وجدت

ومقلتي أغرقت في دمعها الهطل[1]

---

[1] حلية الطراز ص٧.

ومن شعرها الغزلي هذه الأبيات:

ملـــــك الفـــــؤاد وقـــــد هجـــــر

بـــــدر المحاســـــن مـــــذ ظهـــــر

عـــــذب الرضـــــاب مهفهـــــف

يســـــبي المتـــــيم بـــــالحور

مـــــا حيلتـــــي فـــــي حبّـــــه

إلاّ الخضـــــوع لمـــــا أمـــــر

أشـــــكي الغـــــرام ويشـــــتكي

جفـــــن تعـــــذب بالســـــهر

قابلتـــــه منثنيـــــاً متبســـــماً

كالبـــــدر لمـــــا أن ظهـــــر[1]

وقد عالجت في شعرها معظم الإغراض- التقليدية، كالتهنئة والرثاء والمدح وما إلى ذلك. ومن قصائدها التي تعبر تعبيراً جميلاً عن رقة قلبها، وشدة حنينها إلى مّنْ تحب، هذه القصيدة التي جاءت على شكل موشح:

---

[1] **حلية الطراز ص٢٦.**

قســــــــماً بأنصـــــــــار العيـــــــون

وبعـــــــــزّة القـــــــــدّ المصـــــــــون

ذلـــــــي وأســـــــري قـــــد يهــــــون

فــــــي حــــــبّ مّــــــنْ رفــــع اللـــــوا

***

قــــــــد بـــــــان منقـــــوط الخـــــدود

بالخـــــــال وابتعـــــــد الصـــــــدود

لــــــو جـــــاز للمضـــــنى الســـــجود

لســــــجدت شـــــــكراً للهـــــــوى

***

أفـــــديك يـــــــا غصـــــن النقــــــا

ذاب الشـــــجي ولـــــــك البقـــــــا

مجنــــون ليلـــــى مـــــا لقـــــى

مـــــا قــــد لقيــــت مــــن الجـــوى

***

كـــم قلـــت يـــا حلـــو الخضـــاب
داوِ المتـــــــيم بالرضـــــــاب
وأســــــمح لصـــــبك بـــــاقتراب
مـــا لـــي ســوى هـــذا دوى

***

قســـــماً بلحظـــــك والخـــــدود
وبنارهـــــــا ذات الوقـــــــــود
وبلـــــين عطفـــــك والقـــــدود
ترثـــي لصـــبك مـــا غـــوى

***

يكفـــي صـــدودك يـــا غـــزال
عطفـــــاً لعشـــــاق الجمـــــال
ألحاظـــــك المرضـــــى الكحـــــال
هـــاروت عنهـــا قـــد روى[1]

---

[1] حلية الطراز ص٣١.

ولها قصائد وصفية، تتميز بالإجادة آناً، وبالتقليد آناً آخر، كما أن لها قصائد في التهنئة والمدح، وقد اقتصرت على عدد من معارفها وأصدقائها وعلى عدد من رجال آنذاك. أما مراثيها فهي كثيرة، ومعظمها في رثاء ابنتها (وحيدة). ولها قصائد في الشكوى والعتاب، منها هذه الأبيات التي تتذمر فيها من الحياة، وكأنها ترثي نفسها:

أعلل نفسي، والأماني كثيرة،
وما كان أغنى النفس عن ذا التعللِ
فلا الوقت في أمري، فأقضي مآربي،
ولا الدهر يصفو لي، فأكمد عذّلي
ولا النيل يدنو لي، فأروى بفيضهِ،
ولا الصبر طوع لي فتحلو الحياة لي
ولا الحظ ذو سعدٍ، ولا البختُ مسعفُ،
ولا مهجتي صلدٌ، أقول: تحملي
ولا لوم أن واريت في الترب جثتي
وقلتُ أقيمي حيث ذلك منزلي[1]

---

[1] حلية الطراز ص٣٩.

ومن هذه الشواهد، نستطيع أن نتعرف إلى شعر عائشة التيمورية.

آثارها الأدبية:

ولم يكن نتاج شاعرتنا قاصراً على الشعر فحسب، وإنما تعداه إلى النثر وتأليف الكتب وتحرير المقالات، وأهم مؤلفاتها الأدبية هي:

١. ديوان شعر باللغة التركية، تحت اسم (شكوفة) (أي وردة). وقد طبع في الأستانة في ١٨٩٤.

٢. ديوان شعر باللغة العربية، تحت أسم (حلية الطراز). وقد طبع مرتين، الأولى في ١٨٨٥، والثانية في ١٨٩٢، وقد قرظ الديوان وكتب عنه في أوان صدوره عدد من الأدباء والأديبات.

٣. نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال: وهي قصة خيالية طويلة، تؤكد انتصار الخير على الشر.

والأسلوب الذي كتبت به القصة أسلوب تقليدي، إذ أنها تشابه القصص الخيالية التي يقرأها الأطفال في مدارسنا، والتي تكون ذات أهداف أخلاقية.

وقد طبعت القصة في مطبعة محمد مصطفى بمصر في ١٨٨٧.

٤. مرآة التأمل في الأمور: وهو رسالة أدبية اجتماعية، دعت إلى مساواة المرأة بالرجل وإلى تعليم المرأة ورفع مستواها الاجتماعي والثقافي. والكتاب على رسالتين، نشرت الأولى بمجلة الآداب المصرية في ١٨٩٢، وطبعت الثانية في مطبعة النيل بمصر.

٥. وهناك عدد آخر من المقالات والتعليقات، نشرت في الصحف والمجلات الصادرة آنذاك، ومن أهم هذه المقالات مقالة بعنوان "لا تصلح العائلات إلاّ بتربية البنات" وقد أثبتت المقالة في عدة كتب أدبية.

هذه نبذة قصيرة عن (عائشة التيمورية) في ذكرى وفاتها السادسة والخمسين. ونرجو أن نوفق في دراسة شعرها دراسة تحليلية مفصلة في المستقبل.

ملحق

"في مطلع عام ١٩٥٨، اصدر الدكتور يوسف عز الدين أستاذ العربي الحديث في كلية الآداب ببغداد، أطروحته التي نال بها شهادة الدكتوراه عن (الشعر العراقي- أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر)، وقد نشرت في (الأديب) البيروتية عدد مايس ١٩٥٨ نقداً وتعريفاً للدراسة. ولما كان هذا النقد عاشه القرن التاسع عشر الميلادي، الذي استهدفه هذا الكتاب، فأننا نلحقه بالكتاب راجين أن تكون الفائدة منه طيبة".

الشعر العراقي في القرن التاسع عشر
للدكتور يوسف عز الدين- ٢٥٥
صفحة- مطبعة الزهراء ببغداد

لم يحظ الشعر العراقي في القرن التاسع عشر الميلادي، بدراسات علمية موضوعية جديرة بالذكر، خلا دراستين موفقتين. الأولى للدكتور محمد مهدي البصير، الموسومة بـ"نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر". وهذه اعتمدت الترجمة الشخصية أساساً للدراسة، فترجمت لعدد لا بأس به لأهم شعراء العصر، وقد ثارت حولها عاصفة من النقد لالتزامها المنطق والعلم والموضوعية، ولأن الدكتور البصير استفاد من آراء علماء النفس في تحليل- شخصيات ما يكتب عنهم سوى نتاجهم الفني. وقد صدرت هذه الدراسة سنة ١٩٤٦.

أما الدراسة الناجحة الثانية فهي للدكتور يوسف عز الدين السامرائي، وقد صدرت تحت عنوان "الشعر العراقي- أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر". وهي موضوع البحث.

وهناك عدة أسباب جعلت هذه الدراسات قليلة (وحتى الدراسات التقليدية الجافة كدراسات علي الخاقاني ودراسات محمد علي اليعقوبي) التي لم تحتو إلاّ على النَسَب والولادة والوفاة مع تدوين ما يستطيع المؤلف تدوينه– من الشعر. ومن أهم هذه الأسباب قلة المصادر المطبوعة وعدم وجودها أحياناً نظراً لمضي زمن طويل على طبعها ونفادها في الأسواق، كما أن المصادر المخطوطة نادرة، فقسم منها قد تسرب إلى خارج بلادنا، والقسم الآخر وضعتها الظروف في أيدي رجال لا يقدرون قيمتها التاريخية والأدبية، والقسم الثالث تلف بنتيجة ما مرّ على العراق من كوارث ومصائب والخ... .

وأمام هذه الصعوبات كلها، وأمام نفرق المصادر بين بغداد والحلة والموصل والبصرة والنجف والقاهرة ودمشق، وبعزيمة فتية، استطاع الدكتور يوسف عز الدين أستاذ الأدب العربي الحديث في كلية الآداب والعلوم إخراج دراسته القيمة عن أهداف وخصائص الشعر العراقي في القرن التاسع عشر.

وتنقسم هذه الدراسة إلى مقدمة وأبواب خمسة وخاتمة وأربعة ملاحق.

فأما المقدمة فقد بينت ظروف تأليف الكتاب، وفي الباب الأول تكلم عن الحياة الإدارية في العراق في القرن التاسع عشر، وتطرق إلى أشهر الولاة وتحدث عن بعضهم، كداود باشا ومدحت باشا، مستعرضاً أعمالهم وإصلاحاتهم. كما تكلم أيضاً عن المجتمع العراقي ومشكلاته، وانتهى بالتالي إلى تقسيم الشعراء إلى:

١. أصحاب النفوس الضعيفة الذين "عاشوا على التملق والمداجاة وازجاء المديح لأصحاب السلطان على اختلاف درجاتهم".

٢. الأحرار أو (أصحاب النفوس الحية والأحاسيس الكريمة) الذين "راحوا يهاجمون الأوضاع الظالمة في عنف وقسوة".

٣. الذين انطووا على أنفسهم فلم يجدوا لهم متنفساً إلاّ في الشعر الديني يبثون بواسطته أشجانهم وآلامهم.

٤. الذين انصرفوا إلى الأغراض التافهة، فلم يكترثوا لمصيبة أو لغيرها.

وفي الباب الثاني حدد أهداف الشعر العراقي في أربع نقاط: مدح السلطان، خدمة الدين، هدف قومي، هدف اجتماعي.

أما مدح السلطان (ويعني به السلطان العثماني) فلم يكن هذا المدح صادراً من أغوار قلوب الشعراء، بل كان أما طمعاً في مال أو جاه وأما خوفاً من حكم جائر شمل العراق آنذاك وإما طمعاً في التقرب إلى أولي الأمر. على أن "هذه البيئة التي يطارد فيها الأحرار ويقضى على كل فرد يتسم منه رائحة الإصلاح والتذمر هي التي أملت على الشاعر رأيه، فكم من علماء العراق ورجاله حبسوا وشردوا أو طردوا أو شنقوا لأنهم ثاروا ضد مبادئ لا ترتضيها الإنسانية أو أنهم أرادوا إصلاحاً يعود على الأمة بالخير.

أما الشعر ذاته فقد كان منافقاً، ركيك المعاني، مفكك التراكيب، ذاتياً، تقليدياً، لا جدّة فيه ولا روح. إذ لم يكن يصدر عن انفعال أو صدق بل عن طمع أو خوف.

أما مدح الولادة والموظفين فهو يشبه من ناحية مضمونة وشكله شعر المديح للسلطان، على أن فيه أحياناً بعض العاطفة الصادقة نتيجة ارتباط الولادة بصداقات

شخصية مع الشعراء، كداود باشا الذي كان صديقاً للأخرس، وعلي رضا باشا الذي كان صديقاً للتميمي.

والهدف الثاني الذي تّميز به شعر القرن التاسع عشر هو خدمة الدين، وقد كان الشعراء نوعين:

١. المتصوفة، وكان شعرهم: "يهبط إلى مستوى سخيف"، "فقد كان طريقاً للمديح"، وكانوا يتقربون بشعرهم هذا إلى السلطات العثمانية الحاكمة التي أزرتهم وأعانتهم مادياً ومعنوياً.

٢. شعراء الحسين وآل علي (ع)، وقد كان هذا اللون من الشعر "صادق العاطفة فياضاً بالأحاسيس".

على أن الشعر الديني كان محصوراً في ثلاثة روافد: مدح الرسول (ص)، ومدح آله ع، ومدح مشايخ الطرق الصوفية.

فأما الرافد الأول، فإن الشعراء قد ترسموا "طريق الشعراء الأولين الذين مدحوا الرسول (ص)" فقلدوهم "في الألفاظ" وأخذوا يتلذذون "بنفس الأنسام البدوية التي كانت تعبق في الجزيرة".

وأما الرافد الثاني، فإن شعر آل الرسول (ص) وخاصة في الإمام الشهيد الحسين (ع)، كان تنفيساً عن الأفواه المكتومة عند الشيعة، ومطالبة بالحقوق المغصوبة منهم. وقد كان لمكافحة السلطان العثمانية لشعراء الشيعة دعامة رئيسة لنمو هذا الشعر. ومن أشهر شعرائه السيد حيدر الحلي "فقد امتز بالصدق في العاطفة والجزالة في الأسلوب".

أما الرافد الثالث، وأعني به شعر المتصوفة، فهو لم يكن إلاّ مدحاً، ولهواً ولعباً بالتراكيب والألفاظ.

وقد كان الشعراء المتصوفة ويمدحون مشايخ الطرق الصوفية (النقشبندية والقدرية والرفاعية)، كما استفاد الحكام العثمانيون من هذا الشعر لتوجيه أنظار الناس عن مفاسدهم وعبثهم بأمور الدولة.

والهدف الثالث الذي يتميز به شعر القرن التاسع عشر هو الهدف القومي، "وقد أتخذ الشعر العراقي صوراً متعددة للتعبير عما يعانيه الناس من قلق ومن شعور بالظلم والاضطهاد".

قال عبد الباقي العمري يصف الوضع الفاسد:

قـــد اســـتحال العـــراق مفســـدة

لـــيس ســـوى الســـيف يصـــلحها

وقال عبد الغفار الأخرس:

تـــذاد عـــن المـــاء النميـــر أســـوده

وقـــد تلـــغ العـــذب الفـــرات كلابـــه

أما الصور المتعددة التي اتخذها الناس للتعبير عما تجيش به نفوسهم من الثورة والتمرد، فقد كان عند الشعراء على ثلاثة أشكال: قسم منهم يدعون إلى الهجرة تخلصاً من الذل كعبد الغني الجميل، الذي قال:

دع الـــزوراء أن رمـــت المعـــالي

وســـر عنهـــا تجـــد عنهـــا بـــديلا

فـــإن الحـــرّ لا يرضـــى بـــأرض

يـــرى فيهـــا مهانـــاً أو ذلـــيلا

(م٧- دراسات)

وقسم آخر أخذ يتغنى بأمجاد أمته العربية السالفة ويقارن بين وضعه ووضع الأجداد كالجميل والأخرس والشاوي وعبد المطلب الحلي.

وقسم ثالث كان يطالب بالإصلاح آنا، ويهاجم الأوضاع الفاسدة ويعلن عن رغبة الشعب في تبديلها. وآنا تراه يتوسل بالإصلاح إلى السلطان.

تبقى لدينا الآن الأهداف الاجتماعية، وهو ما اختص به الباب الخامس. وقد كان الشعر الاجتماعي في مختلف ألوانه. تافه المعنى، مفكك التراكيب، ذا عناية خاصة بالجناس والتورية؛ ذلك "لأن قلق الحياة وعدم استقرار الأمور في هذا القرن ورغبة الشاعر في خلق جو ظنه ينجيه من الحيرة والقلق أبعده عن هذا إلى قضاء وقته بالخمرة وضياع شعره في مساجلات تافهة". وقد انسابت أغراض الشاعر الخاصة فيما يلي: قضاء الوقت في معاقرة الخمرة، والتغني بالغزل التقليدي، والمساجلات والأسمار والأحاديث، والواجبات الاجتماعية والفردية، وبعض الموضوعات العامة.

إلى هنا، ونحن نستعرض فصول الكتاب، وقد آن لنا أن نذكر ملاحظاتنا عليه.

إن محاسن دراسة الدكتور يوسف عز الدين هذه، تتوضح في ثلاث نقاط:

١. اعتمدت الدراسة على العلم والمنطق والموضوعية، فهي والحال هذه دراسة منهجية موفقة كل التوفيق.

٢. اعتمدت الدراسة دراسة الأهداف دون التعرض للتراجم الشخصية للشعراء، فاستغنى بذلك عن تراجم تقليدية لا تقدم لنا جديداً في الموضوع. وقد رأينا كيف أضطر الدكتور البصير في دراسته التي اعتمدت الترجمة الشخصية أن يجنح عن الموضوعية بينما لا نرى هذا الأمر في هذه الدراسة، ولعل الدكتور عز الدين قد أدرك هذه العلة، فاتخذ هذه الطريقة سبيلاً إلى دراسية علمية منطقية.

٣. اعتمدت الدراسة الأسلوب العلمي البسيط، فقد تجنب الدكتور عز الدين الأسلوب التقليدي ذا المتانة والتفخيم والغموض وكتب دراسته بأسلوب مبسط للغاية.

أما ما يؤخذ على الدراسة فهو قلة المصادر التي اعتمد عليها المؤلف، كما أنه لم يذكر عدداً مهماً من الشعراء، على أن هذه المآخذ لها ما يبررها، فإن صعوبة الحصول على المصدر هو حقيقة واقعة، حتى أن بعض مّنْ يملكون

المصادر رفضوا إعطاءها للمؤلف، فأعطوا بذلك صورة من صور البخل الأدبي.

على أن هذه الدراسة ستبقى لدينا، الدراسة العلمية الأولى الموفقة، والتي نرجو أن تكون منبعاً لدراسات آخر عن الموضوع ذاته...

@@@@

المصادر والمراجع

المصادر المطبوعة:

١. ديوان السيد حيدر الحلي- نشر علي الخاقاني.

٢. نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، للدكتور محمد مهدي البصير- بغداد.

٣. من عبقريات نساء القرن التاسع عشر، ليوسف يعقوب مسكوني- بغداد.

٤. الشعر العراقي في القرن التاسع عشر، للدكتور- يوسف عز الدين- بغداد.

٥. ديوان حلية الطراز، لعائشة التيمورية- القاهرة.

٦. شاعرة الطليعة عائشة تيمور، لمي زيادة- القاهرة.

٧. الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، لزينب فواز العالمية- بيروت.

٨. أعيان الشيعة، لمحسن الأمين- دمشق.

٩. شعراء الغري، لعلي الخاقاني- النجف.

١٠. البابليات، لمحمد علي اليعقوبي- النجف.

١١. شعراء الحلة، لعلي الخاقاني- النجف.

١٢. نقد شعراء الحلة، لناقد كبير – بغداد.
١٣. أعداد من مجلة الآداب اللبنانية.
١٤. مجلة الإخاء المصرية، ج٩، عدد٩، ص٩١١.
١٥. مجلة أهل النفط اللبنانية.
١٦. العقد المفصل– لحيدر الحلي– بغداد.

المصادر المخطوطة:

١٧. الروض النظر، لعصام الدين العمري.
١٨. نشوة السلافة، لمحمد علي بشارة الخاقاني.
١٩. الطليعة، لمحمد السماوي.
٢٠. آل سليمان، لداود بن سليمان الكبير.
٢١. جواهر الحكم، لعبد الحسين الجواهري.
٢٢. الحصون المنيعة، لعلي آل كاشف الغطاء.
٢٣. مجموعة خطية من شعر عبد المطلب السيد مرزة الحلي.
٢٤. شجرة آل سليمان، لمرزة بن عباس الحلي.
٢٥. الروض النضير، لجعفر النقدي.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
المقدمة	٧
السيد حيدر الحلي	٩
الشيخ أحمد النحوي	٢١
إبراهيم صادق	٣٣
السيد مهدي السيد داود	٤٩
السيد سليمان كبير	٦١
عباس النجفي	٧١
عائشة التيمورية	٨٣
ملحق	٩٥
الشعر العراقي في القرن التاسع عشر	٩٧
المصادر والمراجع	١٠٧
المحتويات	١٠٩

دار الفرات للثقافة والإعلام ـ العراق ـ بابل

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ( ) لسنة ٢٠١٧م

Al-Furat House for Education and Information

Iraq – Babylon